الباب الثالث

الاتجاهات الوطنية الدينية والاجتماعية والاشتراكية

من ١٩١٨ إلى ١٩٦٨م

الفصل الأول: الاتجاه الوطني الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر

الفصل الثاني: الاتجاه الوطني الاجتماعي في الشعر الفلسطيني المعاصر

الفصل الثالث: الاتجاه الوطني الاشتراكي في الشعر الفلسطيني المعاصر

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الاتجاه الوطني الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر من ١٩١٨ إلى ١٩٦٨م.

أ ـ مفهوم الاتجاه الوطني الديني

لا بدّ لنا في مطلع هذا الفصل من الإشارة إلى معنى «الدين» و«مفهوم الاتجاه الوطني الديني في الشعر المعاصر». فالدين هو الطاعة والجزاء والمكافأة والعبادة، وهو وضع إلٰهي، يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عن هذا الرسول أو ذاك[١]. وهو أيضاً «طاعة الخالق والخضوع لمشيئته والأخذ بملّته الموحى بها إلى رسله وأنبيائه»[٢].

وذكر أحمد محمد عليّان أن الشعر الديني هو «الذي يظهر فيه الشاعر إيمانه بربّه، واعتقاده بأنبيائه، وإخلاصه لرسالاتهم، وحبّه لتعاليمهم. وهو الذي يتحدّث فيه عن ارتباطه بأصول الدين ودفاعه عن مبادئه التي تتعرض من حين إلى آخر لإلحاد الملحدين وجحود المشركين»[٣].

---

(١) رضا ـ أحمد: معجم متن اللغة، المجلد الثاني، مادة دان. دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

(٢) عطوات ـ محمد عبد: عبد الله بن المقفع (رسالة ماجستير مخطوطة في اللغة العربية وآدابها) ص ٢٣٨. الجامعة اللبنانية، كلية الآداب، بيروت، ١٩٧٩م.

(٣) النهضة الأدبية العاملية الحديثة من خلال روّادها الأعلام (١٨٧٥ ـ ١٩٦٥م): أطروحة دكتوراه مخطوطة في اللغة العربية وآدابها، ص ١٨٣. جامعة القديس يوسف، كلية الآداب، بيروت، ١٩٨٦م.

نخلص من ذلك إلى أن الاتجاه الوطني الديني في الشعر الفلسطيني هو انطلاق الشاعر من تصوّر ديني في نظرته إلى الكون والإنسان والحياة، وفي نظرته إلى القضايا والأحداث، والأشخاص والمشكلات، وفي تعبيره عن العواطف والمشاعر.

وقد نجد بذوراً للاتجاه الوطني الديني أو لمحات منه في شعر بعض الشعراء ممّن ليسوا من أصحاب الفكر الديني ـ الإسلامي أو المسيحي مثلاً ـ بل من دعاة الفكر الوطني أو القومي أو الأممي، وقد تظهر هذه اللمحات نتيجة للثقافة أو المشاعر، لا نتيجة النظرة الشاملة المنبثقة عن التصوُّر الديني الكامل.

ب ـ الاتجاه الوطني الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر

مقدمة لدراسة هذا الاتجاه

إنّ موقف الدين من الشعر يتحدّد بالنظر إلى نوع هذا الشعر، وعلى سبيل المثال عندما وقف عدد من الشعراء موقفاً عدائياً من الإسلام والمسلمين، كان لهؤلاء موقف عدائي مماثل تجاههم.

لكن الرسول ﷺ كان يرحّب بالشعر الذي ينافح عنه وسائر المسلمين ودينهم، قال الله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون، أَلَمْ تَرَ أَنهم في كل وادٍ يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا بعدما ظُلِموا وَسَيَعْلم الذين ظلموا أَيَّ منقلبٍ ينقلبون﴾[1]. وقال أيضاً ﴿ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدى عليكم﴾[2]. وكان الرسول ﷺ يقول لشاعره حسّان بن ثابت: «يا حسّان

(١) سورة الشعراء، الآيات ٢٤ ـ ٢٧ (٢) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

أَجِب عن رسول الله ﷺ، اللهمَّ أَيِّدْهُ بروح القدس»[1]، وطلب إليه أن يردّ على الكفار، قائلاً: «اهجهم وجبريل معك»[2].

وقال لحسان بن ثابت: «اهجهم، فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ عليهم من النبل»[3]. وروي أنّه عليه السلام كان يقول: «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم»[4] وأهدى بُردته إلى كعب بن زهير بعد أن مَدَحَه كعب. . . . .

ويبدو جلياً أن الإسلام اهتمّ بالشعر، إذ كانت له في زمن الرسول ﷺ وظيفة نبيلة هي المنافحة، والردّ على أعداء الله ورسوله ﷺ، وبات الشعراء أداة بناء وإسعاد، وجنوداً ينافحون عن الحق والرسول ﷺ والمسلمين.

وليس هذا فحسب فإنّ الدين لا يتنكر للشعر الذي لا يتنافى معه، بدليل قول الرسول ﷺ: «إنّ من الشعر لحكمة، وإنّ من البيان لسحراً»[5].

ومن جهة ثانية فإنّ الدين ليس عبادة وحسب، ولكنه خُلُق ونظام حياة متكامل أيضاً، لهذا فإن للاتجاه الوطني الديني في الشعر دوراً مستمراً في معالجة الشؤون الدينية والدنيوية المرتبطة بمنهج هذه الحياة. . .، ومنها الدفاع عن النفس والأرض والمقدسات، ورفض الظلم والعدوان، والجهاد في سبيل الله وتحرير الوطن.

(١) الزبيدي ـ الإمام زين الدين أحمد: مختصر صحيح البخاري، تحقيق إبراهيم بركة، ص ٨١. دار النفائس، بيروت، ط١ (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

(٢) جرار ـ حسني والجدع ـ أحمد: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج١، ص ٧. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

(٣) حسني جرار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج١، ص ٧.

(٤) المصدر نفسه. وابن رشيق: العمدة ١/ ١٤ .

(٥) الإمام زين الدين أحمد. . الزبيدي: مختصر البخاري، ص ٤٦٢ و ٤٧١.

ويُذكر أن أول الجوانب التي تبلورت في عصر النهضة منذ مطلع القرن التاسع عشر هو الجانب الإسلامي الأيديولوجي، وهو الذي نادى به المفكرون الأوائل، الذين عُدّوا أساتذة لكلّ من جاء بعدهم[1].

ونحن في هذا العصر بأمسّ الحاجة إلى شعر الاتجاه الوطني الديني، الذي يجدر به أن يسلك السبيل ذاتها التي سلكها الشعر في زمن الرسول ﷺ، غير أن الظروف قد اختلفت، ولم يُعِر الشعراء اهتماماً كبيراً للجانب الديني، مثل الذي أعاروه للاتجاهات الأخرى، ولا سيّما الاتجاهين الوطني والقومي.

ومعلوم أن الاتجاه الوطني الديني يدعو إلى الحفاظ على التراث والمقدسات والأخلاق والعبادات والشرائع، والجهاد في سبيل الوطن وتحريره، الخ، وهو يرتبط بالوطن والمواطنين، ويعود عليهما بالخير والبركة. ومن هنا فإن الارتباط وثيق بين الاتجاه الوطني لديني والاتجاه الوطني في هذا الشعر... ويبدو جلياً أن هذا الشعر يصبّ في مجرى الشعر الوطني...

وعلى أيّة حال فإنّ هذا الشعر لا زال حقيقة واقعة، ولكن بصور تتلاءم مع واقع هذا العصر وأحداثه، ومنها:

في اليهودية، في المسيحية، في الإسلام، الأنبياء، الكتب السماوية، المناسبات الدينية، المقدسات، العدوان والظلم، المهاجرون، الشهداء، الأرض والأسير، قضايا مختلفة، أسباب الهزيمة، نقد، متطلبات النصر، الدعوة إلى السلم، النصر بالجهاد والدعوة له، ثورة وبطولات وتضحيات، الأمل بالنصر والعودة، عقبات في الطريق، شخصيات دينية وأبطال تحرير،

(١) أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر العربي، ص ١٢٦.

قضايا النفس والوجدان، الشعر الديني في المرأة، الشعر الديني في الشبان، فضائل، مظاهر منكرة، حنين للوطن، نِعَم الله، متفرقات.

ـ **أمّا أبرز شعراء هذا الاتجاه** ـ حسب التسلسل الزمني ـ فهم: الشيخ يوسف النبهاني، محمد العدناني، إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، هارون هاشم رشيد، علي هاشم رشيد، كمال ناصر، محيي الدين الحاج عيسى، حسن البحيري، عدنان النحوي، محمد صيام، أحمد فرح عقيلان، أحمد محمد صديق، عبد الرحمٰن بارود، محمود مفلح، مأمون جرّار، كمال رشيد، سعيد تيّم، كمال الوحيدي.

وسنقدّم فيما يلي نماذج في الاتجاه الوطني الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر، أنشدها الشعراء إمّا من منطلقات دينية لدى بعضهم، أو أنها وردت كلمحات من دعاة الفكر الوطني أو القومي أو الأممي، نتيجة لشعور بواقع أليم، أو تجاوباً مع حدثٍ بارز، ذات صلة بقضية الوطن والمواطن، سواء أكان في فلسطين أو أي قطر عربيّ آخر.

أولاً: في اليهودية

المسلمون يحترمون الأنبياءَ، ويُكبرون جهودهم في الدعوة إلى طاعة الله وعبادته، ويقدرون تحملهم المشاقّ حيناً، وسوء المعاملة من الضالين أحياناً أخرى.

والمتتبع لأفعال اليهود الإجرامية بعد ظهور المسيحية، ثم بعد ظهور الإسلام، يجد أن المكر اليهودي بلغ أشدّه، ولا سيَّما حين علم اليهود أنّ النبوة أضحت بالعرب، وأن الإسلامَ نسخَ الديانات السابقة، برسالة عالمية شاملة، وتشريع ربّاني خالد، فعملوا على إبطال نبوّة محمد ﷺ وطمس

معالم الإسلام، انطلاقاً من اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار، وأن الشعوب الأخرى وُجدت لخدمتهم.

ومن أبرز أساليبهم اللئيمة، وأظهر مؤامراتهم في عصر النبي محمد ﷺ: كتمانهم الحق، وتحريفهم الكَلِم عن مواضعه، وردّ بعض مَن آمنوا من المؤمنين إلى الكفر، والعمل على إبطال نبوّة النبي محمد ﷺ، وإيقاع الفتنة بين المسلمين من الأوس والخزرج بالمدينة المنوّرة، والتشكيك بالعقيدة الإسلامية، والاستهزاء بأذانِ[1] المسلمين، وتآمرهم عليهم في غزوة الأحزاب، ومحاولتهم قتل الرسول ﷺ[2].

وبعد الرسول ﷺ دسُّوا في صفوف المسلمين عبد الله بن سبأ وميمون القدّاح وغيرهما.

وفي العصر الحديث لجأوا إلى طرق ملتوية من الحيلة والمكر، سعياً لِمَا تصبو إليه آمالهم من بسط نفوذهم في الأرض، ومدّ سلطانهم على مواطن القوة في العالم، وفي مقدمتها التجارة والصناعة والسياسة. وتؤكد بروتوكولات حكماء صهيون هذه الأهداف والأساليب كافة.

ويقرر عبد الله علوان أن اليهود «وضعوا نصب أعينهم ثلاثة أهداف رئيسية ليصلوا إلى ما يريدون:

الهدف الأول: تجزئة أمم الأرض، وإغراء بعضها ببعض، وإثارة الحروب فيما بينها، وإيقاد نيران الفتن بين شعوبها.

---

(١) أذان المسلمين من أُذُن للصلاة، أما أُذن الإنسان فجمعها آذان.

(٢) علوان ـ عبد الله: الإسلام والقضية الفلسطينية، ص ٢٩ ـ ٣١. مكتبة المنار، الزرقاء، ط٢ (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

الهدف الثاني: إفساد عقائد الأمم، وتحطيم مفاهيمها وأخلاقها ونظمها، وإبعادها عن صراط الله..

الهدف الثالث: إقامة دولة إسرائيلية، مركزها فلسطين، وامتدادها الأكبر من الفرات إلى النيل.

والغاية المتوخاة من هذا كلّه هو فقد هذه الأمم عوامل قوتها ومجدها، ثم بالتالي لتكون دائماً تحت سيطرة اليهود ونفوذهم. وتنفيذ مخططاتهم وأهدافهم، حتى لا يقوم لأيّة أمّةٍ قائمةٍ كيانٌ وقوة في العالم!!»[1].

ومن أجل تحقيق أهدافهم الخطيرة أسّسوا الجمعيات السريّة في مختلف أقطار العالم، وأهم هذه الجمعيات وأبرزها، وأقواها نفوذاً وسلطاناً «الجمعية الماسونية».

واستغلّ اليهود نشوء القومية التركية الطورانية، والقومية العربية، فألغوا الخلافة الإسلامية، وفتتوا الوحدة الإسلامية، و«العربية»، وسلبوا فلسطين، وأقاموا دولة «إسرائيل»، وشرّدوا الشعب الفلسطيني.

ولليهود أطماع في توسيع رقعة دولتهم، حتى تمتد حدودها من النيل إلى الفرات، ويشير عدنان النحوي إلى ذلك بقوله:

هي ذكرى بين الفرات وبين النـ ـيلِ منها دمعٌ ونوحٌ شديد[2]

١ ـ ولمّا تعرّض للعرب شاعر يهودي اسمه رئوبين، في قصيدة بعنوان «أنشودة النصر»، إثر أحداث عام ١٩٢٩م، فوصفهم باللصوص وقطّاع

---

(١) الإسلام والقضية الفلسطينية، ص ٣٧.

(٢) جرار ـ مأمون فريز: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٢٠. دار البشر، عمّان، ط١ (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

الطرق، وأهل خيانة وغدر، وافتخر بشجاعة قومه اليهود، ردّ عليه إبراهيم طوقان بقصيدة عنوانها «ردّ على رئوبين شاعر اليهود»، فتعرّض إلى تاريخ اليهود وتوراتهم، وما عُرفوا به من قبل، وما هم عليه اليوم من الادّعاء الباطل، والغدر، ونكران الجميل، ممّا يناقض كل ما ادّعاه الشاعر رئوبين، وما وصف به قومه من المزايا والأخلاق، فقال: [الخفيف]

يا يهوديُّ كيف علمك بالتو ... راة، قل لي، أم فتك التعليم
بين أسفارها خلائق عنكم ... مبتداها ومنتهاها ذميم
يوسف باعه أبوكم يهوذا ... إن حبّ الدينار فيكم قديم
وكفرتم بنعمة الله حتى ... ضاق ذرعاً بالكفر موسى الكليم
وبطون التاريخ فيها عجيب ... وغريب بعاركم موسوم

* * *

أي رئوبين أين ألواح موسى ... والوصايا فكلُّهن قويم
هنّ عشر نبذتموها جميعاً ... ورتعتم في الغيّ وهو وخيم[1]
ونقضتم أحكامها فإذا ألـ ... ـمُ مقام الإلٰه فيكم يقوم
والرّبا ربكم له صنم الحر ... ص مثالٌ أنتم عليه جثوم
وإذا السبت فيه مكرٌ وغدرٌ ... أين فيه التقديس والتعظيم
وعكستم آياتها فإذا الق ... ـل مباحٌ والفسق فيكم عميم
وهضمتم حقَّ الجوار وصحتم: ... «أيها الناس حقّنا مهضوم»...
كلكم شاهد على الحقّ زوراً ... هل أتاكم من شأنه تحريم؟!
حسبكم لا يبارك الله فيكم ... إن شيطان بغيكم لرجيم
فلو أنَّ النجوم أمست رجوماً ... ما عدتكم والله تلك الرجوم
أي رئوبين أيّ شعب تنادي ... إن ربّاً أبادَهُ لحكيم[2].

(١) نواقض الوصايا العشر.
(٢) ديوان إبراهيم، ص ٧٨ و ٧٩.

عرضنا جزءاً يسيراً من قصيدة إبراهيم طوقان، التي تعتبر رداً بليغاً على رئوبين، ذلك لأنّ إبراهيم كان مطّلعاً على تاريخ اليهود القديم، وعليماً بخطط اليهود وأعمالهم في العصر الحديث، فضلاً عن شجاعته، وذلاقة لسانه، ممّا مكّنه من تعرية اليهود، بدءاً من عهد النبي موسى، ويعقوب، وغدر إخوة يوسف به، ونقض اليهود للوصايا العشر، وحبّهم الزائد للمال والرّبا، وتعودهم على المكر والغدر، والمنكر والتزوير، وهذا ما يتكرر في هذا العصر، مع إيغالٍ في الظلم والعدوان والإجرام، وهو يتنافى مع التعاليم السماوية وأبسط مبادىء الاخلاق والقوانين الوضعية.

٢ ـ ويعترف الشاعر أحمد فرح عقيلان أن اليهود يسعون للعلا وهم أذِلاّء: [الكامل]

وإذا اليهودي الذليل يجوس في ... أقداسنا متبجّحاً متمرّدا
إن الذي كتب اليهود أذِلّةً ... كتب العلاءَ لحزبه والسؤددا[1].

ثانياً: في المسيحية

إنّ عيسى ابن مريم نبيٌّ، وُلِدَ وسوف يموت ويبعث حياً، وهو من رَوْح الله، وليس أبناً له ولا إلٰهاً، جاء في القرآن الكريم أن عيسى نَطَق وهو في المهد، لقوله تعالى: ﴿قال إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً﴾[2].

وقد بشّر هذا النبي الكريم بتعاليم ربّه، فتعرّض اليهود له ولأتباعه، ولاحقوهم وعذبوهم، وسعوا لقتل المسيح فرفعه الله من بين أيديهم، وإذ

(١) مأمون جرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٤٤.
(٢) سورة مريم، الآيتان ٣٠و ٣١.

أعمى الله أبصارهم صلبوا رجلاً شبيهاً به، لقول تعالى: ﴿وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم، وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه، ما لهم به من علم إلاّ اتّباع الظن وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً»[1].

واستمر اليهود يعادون من لا يدين بدينهم ولا يعمل بطاعتهم، ولما حلّت نكبة فلسطين وقف المسيحيون والمسلمون صفاً واحداً في الدفاع عن النفس والوطن، وقاتلهم اليهود وقتلوا وجرحوا منهم عدداً كبيراً، وهدموا المساجد والكنائس، وشرّدوا مئات الآلاف من الطرفين، لأنهم يريدون فلسطين لهم وحدهم دون أهلها العرب جميعاً.

ولاقى عرب الداخل كلّهم صنوف الظلم والاضطهاد، والعدوان على معابدهم وسلبها دون تفريق، ووقف المناضلون من الطرفين في وجه هذا الظلم وقاوموه ببسالة، وفي مقدمة هؤلاء أمين القدس روحي الخطيب وبسّام الشكعة وفهد القواسمه والمطران إيلاريون كبوجي، والشعراء توفيق زياد، حنّا أبو حنا، سالم جبران، محمود درويش، سميح القاسم، راشد حسين وغيرهم، وقد سجن معظمهم وطرد بعضهم خارج فلسطين مثل المطران كبوجي وأمين القدس وفهد القواسمه ومحمد ملحم وغيرهم، ويستمر هؤلاء في الدفاع عن فلسطين وأهلها دون تفريق.

ويثبت تاريخ فلسطين أنّ المسلمين والمسيحيين تعاملوا بروح المحبة والتعاون، ووقفوا موقفاً موحداً، وتصدّوا معاً للأحداث والمخاطر، ومؤامرات الاستعمار والصهيونية.

وعندما اغتيل القادة الثلاثة الأبطال كمال ناصر، كمال عدوان، ومحمد

(١) سورة النساء، الآيتان ١٥٧ و ١٥٨.

يوسف النجار، فاضت قلوب الجماهير عامة باللوعة والأسى عليهم جميعاً دون تمييز، ودفن كمال ناصر في مقبرة للمسلمين، هي مقبرة الشهداء في بيروت.

وما زالت صفوف الثورة الفلسطينية تعجّ بالمناضلين من الشعراء والكتّاب والأطباء والمقاتلين صفاً واحداً، متعاوناً إلى الأبد بعون الله.

١ـ وقد تأثر كمال ناصر بقول المسيح إنّ «ما أخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ»، فقال متصوراً إيّاه: [الخفيف]

ثائراً يفرض المحبة في النا س ويدعو للخير والتهذيب
لا يبالي بالشوك يدمي خطاه في مجال الكفاح والترغيب[1]

٢ ـ ويستنكر حسن البحيري ما حلّ بفلسطين عامة، ومهد المسيح خاصة، مؤملاً أن يخيّم السلام العادل على هذه الأرض المقدسة، ويقول: [الخفيف]

يا ربوعَ السلامِ أين رسولُ الـ ـحبِّ والنّور والهدى والسلامِ
أين مَن كفُّهُ إذا لَمَسَتْ صَدْ راً شَفَتْهُ من موجعات السَّقامِ

* * *

أرضُهُ... وهي مهد الطهر والخير روضُهُ... وهو مأوى الزهرِ والطيرِ
أجدبتْ تلك وهذا جَفَّ من هَوْلِ الجراحِ

كيف جفَّ الخِصْب من أرضِ السلام

في مهدِ المسيح؟!

كيف مات الحبُّ من قبلِ الفِطام

(١) الآثار الشعرية، قصيدة «صرخة الميلاد» ص ٨٦.

مخضوبَ الجروح؟!

* * *

وغداً تنشر السماءُ على الأر ضِ صباحاً ملوَّن الأحلام
وعلى «بيتِ لحمَ» و«المهدِ» و «المِذْود» «يسنى الهدى بنور السلام[1]

٣ ـ وللمسيحية والمقدسات محبة كبيرة في قلب كمال ناصر، وأثر واسع في شعره، ويوم اعتدت «إسرائيل» الغاشمة على القدس، وقصفت كنيسة القيامة في ليلة الميلاد، عمد الشاعر إلى فضح عدوانها، وأعرب عمّا ترك في نفسه من أثر عميق، وأكّد عزم الشعب على خوض المعركة، لأنّ الحق لا يُصان ولا يُسْترَدُّ إلا بالقوّة، وقال في قصيدة «عيسى ابن مريم»: [الكامل]

ما للرؤى العمياء تجرح مقلتي تنتابني في صحوتي ورقادي
تجري دماً، في مهجتي وتعيش في روحي، وتسري عنوة لفؤادي

* * *

يا ليلةَ الميلاد قولي للذي أنزلتِهِ، للوعظ والإرشادِ
إكليلك الفخم الجميل تناثرت أشواكه في أمتي وبلادي
وسعى إليه الغاصبون فشيّدوا صرحاً على الآلام والأكبادِ
فاسمعْ جراحَ المهدِ تهتفُ نقمةً واضيعةَ الأولادِ والأحفادِ
عيسى ابن مريم قد عرفتك هادئاً فاغضب ولو في ليلة الميلادِ
أنظر هناك، تر العذاب مجسَّداً في خيمةٍ مقرورةِ الأوتادِ

* * *

وغداً سيمشي الشعب معركةً له فالحقُّ لا يعلو بغير جهادِ

(١) لفلسطين أغني، قصيدة «مهد المسيح» ص ٥٨ ـ ٦١.

سيعيش هذا الشعب مهما أبطأت أحلامُهُ في غفلةِ الآبادِ[1]

وبرغم ما يظهره الشاعر من ألم ومعاناة، وشكوى للسيد المسيح، وطلب غضبته للحق، وانتقامه للمظلومين، فإنه يرى وجوب الاعتماد على النفس في الجهاد واستعمال القوّة، بغية حماية النفس واسترداد الأرض السليبة.

ثالثاً: في الإسلام

الدين الإسلامي يقوم على طاعة الله وإقامة العدل والمساواة والتّفاهم بين الناس، وهو نظام حياة متكامل، يشرّعه القرآن والسنّة، ونحمد الله تعالى أن هذا القرآن لا يزال محفوظاً بعنايتهِ كما أُنزِل على محمد ﷺ، دون أيّ تحريف، وقد باءت جميع المحاولات الخبيثة ضدّه بالفشل. وقد لاقى الرسول ﷺ من اليهود الأذى والمكر والغدر، والتآمر على المسلمين، وكان يسلك سبل الحكمة والموعظة والحلم، لعلّهم يعقلون.

والواقع أنّ النبي محمداً ﷺ وسائر الأنبياء هم قادة ثورات وتغيير، فقد ثاروا على الكفر والضلال، ودعوا إلى الإيمان والمحبة، ونشروا لواء العدالة والمساواة والسلام بين الناس، ولكن المسلمين لم يتوانوا عن محاربة الكفار واليهود عندما لم يجدوا بُدّاً من ردعهم، والقضاء على مؤامرتهم والتخلّص من أذاهم.

ورغم هزيمتهم، فقد ظلّوا على مرّ الزمن يغتنمون كل سانحة للإساءة إلى المسلمين والعرب.

ومنذ مطلع هذا القرن بدأت تتوالى المؤامرات الانكليزية ـ الصهيونية

---

(١) الآثار الشعرية، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٥.

على الشعب العربي في فلسطين، حتى أدّت إلى تشريده. . ، وإقامة الكيان الغاشم في الأرض المحتلة. ويبقى اللاجئون بحاجة إلى موقف عربي بل إسلامي موحّد، مدعّم بالقوة العسكرية العاملة فعلاً لتحرير الأرض المقدسة، جنباً إلى جنب مع الثورة الفلسطينية، دون التلهّي بالمؤتمرات والخطابات والوعود والمساومات، التي لم تثمر طيلة أربعين عاماً مضت، ولن تؤدي إلى حلٍّ عادل مشرّف، ينسجم وتاريخ المسلمين والعرب، وعزّتهم وكرامتهم.

١ـ ويعلن عبد الرحيم محمود أن الإسلام هو دين الحق، قائلاً: [الكامل]

والحرُّ وابن الحرّ ليس مطيّةً ... يُمطى ويكْبَحُ أصغريه لجام
فيقول حقاً ليس يخشى لومة ... والحقُّ أروع ما حوى الإسلام[1]

٢ ـ ويتغنى برهان الدين العبّوشي بعزّة الإسلام وتمام هذا الدين قائلاً: [الكامل]

الله أكمل دينه وأتمّها ... نعماً تفيض وعزّة تتألق
هي عزّة الإسلام لا عوج بها ... دان الغروب لها ودان المشرق
سسنا بها الدنيا وسسنا ملكها ... سلْ قيصراً والفرس أنّى أزهقوا
فينا كتاب الله ينظم عِقْدنا ... كسلاسل للدرع لا تتشقّق
وإذاً حذار فإن شعب محمد ... ما مات كيف يموت سوف يحلق!
وكما أباد الروم في يرموكه ... سيُبيد من يبغي عليه ويسحق
فلراية الإسلام أفقٌ شاسع ... يهفو لها قلب وعين ترمق[2]

٣ ـ ويناشد محمد صيام المسلمين العودة إلى الله وكتابه العزيز، كيْ ينقذوا أنفسهم، بعد أن تردّت حال المسلمين، وليس ثمّة منقذ لهم سوى

(١) ديوان عبد الرحيم محمود ص ١٤٦ . (٢) ديوان جبل النار، ص ١٠٩ و ١١٠.

هدي الله، ومنهج الإسلام، ويقول: [البسيط]

يا أيها الناس فلتنجوا بأنفسكم ... ولا تكونوا كمن ضلّت مساعيه
عودوا إلى الله ينقذكم برحمته ... من الشقاء الذي بتنا نعانيه
ولتستقوا من كتاب الله منهجكم ... فليس في الأرض منهاج يدانيه
ولتدركوا هذه الدنيا بدعوتكم ... حتى تطبّوا لها جرحاً نقاسيه
فقد تردّت وهدي الله ينقذها ... وجرحها غائر والدين يشفيه[1]

إنّ أفضل سبيل للنجاة من عذاب الله هو الإيمان به وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، والانتهاء عمّا نهى عنه وزجر...

قال الله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا هلْ أَدُلُّكم على تجارة تنجيكم من عذابٍ أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ومساكنَ طيبةً في جنّاتِ عدن ذلك الفوز العظيم، وأُخرى تحبّونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريب وبشّر المؤمنين﴾[2].

٤ ـ ويرى عدنان النحوي أن الأمة التي تطمح إلى تحقيق النصر، لا بدَّ أن تسير تحت ظلال القرآن، وتتشوّق إلى النعيم الذي وعد به ربّ العالمين، ولذلك فهو يدعو الأمة إلى العودة إلى الله عزّ وجلّ ليحقق لها النصر على أعدائها: [الخفيف]

أمتي عودة إلى الله تحيي ... ميت الأرض والنفوس الخواءَ
أمتي عودة إلى النفس ضياء ... يمزّق الظلماءَ

(١) حسني جرار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج ٢، ص ٧٧ و ٧٨.
(٢) سورة الصف، الآيات ١٠ ـ ١٣.

أمـتـي عـودة تـردّ إلـى الأيـ ـك رؤاه.. ولـلـغـصـون الـمـاءَ
عـودة تـرجـع الـجـهـاد وتـعـلـي رايـة الـحـق والـيـقـيـن عـلاءَ[1]

وهذا ما ينسجم مع قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾[2]، وقوله أيضاً ﴿وإنْ عُدْتم عُدْنا﴾[3].

وهل هناك أجمل من العودة إلى الله، فيتحقق النصر، وتستعاد السيادة والعزّة، وتسود راية الحق واليقين والتقوى في أرجاء البلاد، بعد أن تمتلىء بها قلوب العباد، ويستأهل المؤمنون حنّة الخلد التي يتشوّقون إليها؟

ونحن نلمس في النماذج السابقة من الشعر مسحة الألم ممزوجة بلون من التصوّف، وهذا أمر طبيعي لدى من تشدّهم إلى الدِّين والتقوى روابط وثيقة.

رابعاً: في الأنبياء والصحابة والقادة

أ ـ في الأنبياء:

الأنبياء مكلَّفون بهداية الناس إلى الإيمان بالله وعبادته، وقد عاش معظمهم في فلسطين.

وذكر أنّ النبي محمداً ﷺ صلى بالأنبياء في المسجد الأقصى، يوم أُسري به من مكة إلى هذا المسجد، تأكيداً على إمامته ورفعة شأنه بين إخوته الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين، وتأكيداً على قدسيّة هذا المسجد أيضاً.

والمعلوم أنّ ثلاثة من الأنبياء تلقّوا كتباً سماوية: تلقّى موسى التوراة،

(١) مأمون الجرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص ٥٩.
(٢) سورة محمد، الآية ٧.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٨.

وتلقّى عيسى الإنجيل، وتلقّى محمد القرآن؛ فتعلموها وعلّموها لمن اهتدى بهديهم، ولاقى الأنبياء معارضة شديدة من الكفار، فعذبوهم واضطهدوهم، ولكن الأنبياء صبروا واستمروا في نشر دعواتهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[1].

١ـ ويشير إبراهيم طوقان إلى أن الأنبياء ملهمون، حملوا للأنام رسالات مليئة بالهدى والنور، حيث قال: [الرجز]

للأنبياء أرفعُ المقامِ يُحَفُّ بالجلالِ والإكرامِ
وعندهم روائع الإلهامِ فيها الهدى والنور للأنامِ
وغايةُ الكمالِ في الإيمانِ[2]

فالأنبياء، أهلٌ لأرفع المقامات، وتمام الكمال يَجْمُل في الإيمان.

وبعبارات قصيرة أعربَ الشاعر عن معانٍ كثيرة بلغت قمَّةَ الجمال والقوة، فكانت بليغةً بجدارة.

٢ ـ نظم يوسف النبهاني مدائح كثيرة في النبي ﷺ والقرآن الكريم، معدّداً صفات الرسول وأثر رسالته في العالم، وفضل القرآن، وبلاغته، وشموله أنظمة العبادة والحياة، فضلاً عن أخبار السابقين، والكون والموت والبعث، وغير ذلك كثير، حتى باتت مؤلفته من أشهر المصادر في مدح الرسول، وردّد المسلمون الكثير من هذه المدائح في المناسبات المختلفة كالأعياد وذكرى المولد والأفراح وما شابهها.

وجاء في مدحه للرسول ﷺ والقرآن الكريم قوله: [الخفيف]

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.
(٢) ديوان إبراهيم طوقان، ص ١٧٩.

قد أتى المصطفى نبياً رسولاً ... طِبْق ما بَشَّرت به الأنبياءُ
لجميع الأنام أرسله الله ختاماً ... للرُّسْل وهو ابتداءُ
أطلعَ الله شمسه فاستنارت ... قبل كل الأماكنِ البطحاءُ[1]
لقّبوه الأمينَ من قبل هذا ... وقليلٌ بين الورى الأُمناءُ
لا كتاب ولا حسابٌ ولا غُرْ ... بة طالت له ولا استخفاءُ
بكتابٍ من المليكِ أتاهم ... كلُّ لفظٍ بصدقِهِ طغراءُ[2]
حجَّةُ الله فوق كل البرايا ... فيه عن كلّ حجةٍ إغناءُ
غلب الكلَّ بالبراهين لكنْ ... بعضهم غالبٌ عليه الشقاءُ[3]

لقد جاء محمد ﷺ خاتماً للرسل ومبشراً للناس أجمعين، فعلّم الناس القرآن الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، وتمّم مكارم الأخلاق، وأزال النزاعات والعصبيات والعادات السيئة المعروفة زمن الجاهلية، وساوى بين المسلمين، ووحّد صفوفهم، وحفزهم للتسابق إلى الإيمان والفضائل والإيثار والتضحية، وأصبحوا متحابّين متعاونين، يتّقون الله في أعمالهم وأقوالهم، فأظلّتهم وحدة بعد فرقة، وقوة بعد ضعف، وباتوا مضرب المثل، بعلمهم نهتدي، وبهم نقتدي، علّنا نحقّق آمالنا وطموحاتنا في الدنيا والآخرة.

وقد جاءت هذه القصيدة على وزن بحر الخفيف، القصير نوعاً، لتنسجم مع السرد الطويل لصفات الرسول الكريم ﷺ وأثر القرآن، وتحية الأماكن المقدّسة وحال المسلمين في العصر الإسلامي المجيد.

٣ ـ ويشكو هارون هاشم رشيد إلى الرسول الكريم محمّد ﷺ حال

(١) البطحاء = مكة.

(٢) المليك من أسماء الله تعالى، والطغراء علامة الملك على كتبه الدالّة على صحة نسبتها إليه.

(٣) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، مجلد١، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤. دار المعرفة، بيروت، ط٢ (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

اللاجئين، الذين باتوا تائهين في مهب الريح. طالباً نجدته وشفاعته بقوله: [مجزوء الوافر]

محمدُ يا رسول الله، إني ضائعٌ ضائعْ
وشعبي في مهبّ الريح مثلي تائهٌ جائعْ
تقاذفُه الرياحُ الهوجُ عبر العالم الخادعْ
فأين بشيرها للكون أنت منارها الساطعْ؟
وأنت بشيرها للكون أنت المرشد الوادعْ
محمدُ أنتَ نجدتنا وأنت حبيبنا الشافعْ[1].

٤ ـ وفي قصيدة «اليتيم» يعرض كمال ناصر لليتيم الأول في الإسلام، النبي محمد ﷺ، فيشهد بأنه رفع لواء الحق في الكون، وكان نبياً بهر العالم نورُ كتابه إذ حمل المشعل إلى ذروة الهدى والإيمان، قال كمال: [الخفيف]

أحمدٌ ذلك اليتيم المفدّى رفع الحق فاستوى في نصابه
شعَّ في غابر الزمان نبيّاً بهر الكائنات وهجُ شهابه
حمل المشعل الذي مزّق الجهـ ـلَ إلى ذروة الهدى وهضابه[2]

لقد دُعِيَ هذا اليتيم في صغره «الأمين» و«الصادق»، وكان مثالاً في الأدب والتهذيب، ثم حمل مشعل الإيمان فأنار القلوب والعقول، وكان بشيراً ورسولاً هادياً للبشريّة كافة، حيث قال تعالى: «وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً»[3].

(١) الأعمال الكاملة، ص ٣٩١.
(٢) الآثار الشعرية، قصيدة «اليتيم»، ص ٥٠.
(٣) سورة سبإ، الآية ٢٨.

وقال أيضاً: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين﴾[1]. ووصفه رب العالمين في أدبه قائلاً: ﴿وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم﴾[2]، وتحدث النبي ﷺ عن نفسه فقال: «أدَّبَني ربي فأحسن تأديبي»[3]. وليس لنا غير أن نعجب، ونبدي الاعتزاز بهذا الخلق الرفيع، الذي يشهد به ربُّ العالمين. والنبي ﷺ يعترف شاكراً بأنّ ربه قد أدّبه، وبعثه ليُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق. ومَنْ يُحسِن التأديب أفضل من ربِّ العالمين؟!!

ب ـ في الصحابة

الصحابة هم أصحاب الرسول ﷺ السائرون على نهجه قولاً وعملاً، وهم دعائم هذا الدين، الذين منهم الخلفاء الراشدون، ومنهم مَن كتبوا القرآن لدى جمعه، ومنهم من حفظوه، ومنهم من رَوَوا الحديث، ومنهم قادة الفتوحات، نشروا المبادىء السامية والعدل والمساواة فأصبحوا منارات المسلمين، ومضرب الأمثال.

تغنّى الشعراء بتقواهم وزهدهم، وأشادوا بأفعالهم وخصالهم.

١ ـ ونظم إسكندر الخوري البيتجاني قصيدة جامعة رائعة عنوانها «عمر بن الخطاب»، قال فيها: [مجزوء الكامل]

عمرٌ وهل يخفى القمر ... ما كان ملكاً كالبشر
كان الملاكَ إلى الخلا ... ئق أرسلته يد القدر
متزهّداً متقشّفاً ... بالحزم والعدل اشتهر

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٢) سورة القلم، الآية ٤.

(٣) العوامري ـ أحمد وآخرون: المرشد في الدين الإسلامي، ج١، ص ٦٤. القاهرة ١٩٥٤. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

متواضعاً لا يزدهي ... لا يشمخرّ إذا انتصر
متواضعاً سلْ عنه إيـ ... ـلياءَ يوم جنى الثمر
قد ألبسوهُ الخزَّ عنـ ... ـوان الجلالة والظّفَر
هاتوا مُرَقَّعَتي أرى ... نفسي ازدهت! نادى عُمَر
هاتوا مُرَقّعتي فما ... في غيرها لي مستقرّ
عزّ النصارى في خلا ... فته فكان بهم أبرّ
وإخاءُ أحمد والمسيـ ... ـحِ ثمار هاتيك الشجر
ساس الرعية قادراً ... مُتَوخياً بُعْدَ النظر
يتفقد الضعفاء يُسـ ... ـدي عونَهُ لِمَن افتقر
تلقاه في الليل البهيـ ... ـم يزورهم وقد استتر
الله أكبرُ! مثلُهُ ... نِعَمٌ تَجِلُّ على البشر
آثارُهُ إن جئتُ أذ ... كُرها أقول هي السُّوَر[1]
ماذا أقول وما ذكر ... تُ سوى قليلٍ مختصر
ذكرى أبي حفصٍ عُمَرْ ... ذكر المفاخر والعِبَر[2]

أرى أنّ الشاعر لم يغادر الحقيقة في قصيدته، التي صوّر فيها عدل عمر وزهده وتواضعه وحزمه وحمايته للنصارى: وإصراره على لبس مرقعته يوم تسلّم القدس من بطريركها عام ٦٣٧م، رافضاً لبس الخز...

وكان يتفقد الضعفاء والفقراء حتى أنّه حمل على كتفه مؤونة لعائلة فقيرة، وقال لعامل أراد حملها عنه: إنّك لن تحمل عني وزري يوم القيامة. هذا فضلاً عن الفتوحات الواسعة التي تمّت في عهده...

(١) السور جمع سورة: الشرف أو المنزلة وما طال من البناء نحو السماء، ومنه سورة القرآن. قيل سُمّيت بها لأنها منزلة مقطوعة عن الأخرى كسورة البناء أو لارتفاعها لأنها كلام اللّه.

(٢) ديوان العنقود، ص ١١٠ ـ ١١٢. وحفص هو الشبل أي الأسد. وحفصة هي بنت عمر بن الخطاب وبها كنّي عمر.

وحياة عمر مليئة بالفضائل والمآثر التي نحن أحوج ما نكون إليها.

٢ ـ ويتغنّى الشاعر علي هاشم رشيد في قصيدته «خالد بن الوليد» ببطولة خالد، الذي خاض معارك كثيرة من مؤته إلى العراق إلى اليرموك، وسطّر أسمى معاني البطولة في التاريخ. ودُعي «سيف الله المسلول». وممّا جاء في هذه القصيدة الطويلة: [البسيط]

قم للبطولة واهتف ثم حيّيها ... وحيِّ خالد محييها وراعيها
كانت مضيعة للناس قد هدمت ... حتى بناها من الأمجاد بانيها
يا سيرةً سطّر التاريخ قصتها ... أعظم بمن كان للتاريخ يمليها
قد سُطِّرت بمداد الفخر صفحتها ... ومن صميم العُلا صيغت قوافيها
فليدرس المجد من يبغيه عن بطلٍ ... قد شاد للعرب صرحاً في معاليها
في شخصه كان جيشاً ناصراً غلباً ... آلى إلى العُرب فتكً في أعاديها
يا خالد المجد مَنْ سمّاك خالد هل ... درى خلودك في التاريخ مسميها
لقد رضعت العلا في المهد فانتصبت ... فيك المعالي لتنبي عن مربيها[1]

يدعونا الشاعر إلى الوقوف تحية للبطولة التي تتجسّد في خالد بن الوليد، ويحسبه الشاعر مَن أحيا البطولة ورعاها، ثم يصوّر كيف كانت هذه البطولة ضائعة قبله، ولكن لمّا جاء خالد بنى منها صرح مجد للمسلمين، وسطّر منها صفحات مشرقة في التاريخ، فباتت مبعث فخر العرب ومصدر اعتزازهم، وحُقَّ له أن يكون المجد بحاله، يدرسه من يشاء. ثم يضيف الشاعر أن خالداً كان يمثّل أو يساوي جيشاً قوياً منتصراً يفتك بأعداء العرب، ثم يسأل إذا كان من أسماه يدري أنه خالد في التاريخ، فاختار اسماً على مسمّى. ولا يجد الشاعر غرابة في ذلك ما دام خالد قد رضع الشجاعة

(١) ديوان أغاني العودة، ص ٨٩ ـ ٩٧.

والفضائل والعلا في طفولته، فاكتملت فيه المعالي لمّا كبر، وباتت تدل على معدنه وأصله العربي المجيد.

وتبدو موسيقى هذا الشعر المطبوع ترنّ في الأذن، بينما ترسخ معانيه في القلب، ويزدان هذا الشعر بالبحر البسيط التام، الذي يتلاءم طوله وتفعيلاته مع هذه المعاني، ممّا يزيده رونقاً وجمالاً.

ولا يكتفي الشاعر بهذا القدر من وصف خالد، بل يتابع ذلك مكرراً وصفه بالشجاعة، ثم الذود عن الإسلام والمسلمين، ويقول: [البسيط]

سيفاً من الله قد أسماك أحمدنا ... أكرم بها نسبة للفخر تعليها
جرّدت للرّدة العمياء منكباً ... فصار يقطع دانيها وقاصيها
حتى أعدت إلى الإسلام وحدته ... بنفس حرّ إلى الفردوس يدنيها
الخيل تعرف من في الحرب فارسها ... إذا تدجّت وأرخت من دواهيها
وجّهت طرفك نحو الفرس فارتعدت ... فرائص القوم واندكّت مبانيها
وطرت للشام في الخيل العراب فما ... دروا أأنت القضا أم أنت مجريها
ووقفة لك في اليرموك ما ذكرت ... بين الوقائع وقفات تضاهيها
فالنصر أنت وأنت النصر إذ رفعتَ ... للدين راية مذْ جئت تعليها
إذا رجعت بروح الفوز منشرحاً ... أتاك أمر من الفاروق يحميها
فقلت ليس لغير الله نفسي في ... هذا الجهاد، لعل الله يجزيها
وقلت ظنّ أبو حفصٍ بأن لنا ... غير الشهادة غايات نلبيها
لكنني لم أحارب أو أمدّ يداً ... لأجله بل لأجل الله أمضيها
يا أرض حمص ألا تدرين إذ سكبت ... فيث النسائم دمعاً من غواديها
بكت على خالد الأمجاد آسفة ... والرعد أعول حزناً في نواحيها
للدين للمجد للأخلاق نطلبه ... بل للعروبة نرجو من يواسيها

حيّوه حيوا العلا والفخر ما طلعت شمس البطولة أو ندى مناديها[1]

وبعد، فهل هناك صور أروع من هذه البطولات والمآثر، مذ جرّد خالد سيفه أيام الرّدة متصدياً للمرتدين عن الدين، إلى يوم قاتل في مؤته بحكمة وتبصّر، إلى يوم سجل انتصارات للمسلمين في الفتوحات بالعراق ثم في بلاد الشام؟!. وكانت معركة اليرموك قمّة انتصاراته، إذ انتصر فيها على جيش كبير للروم نصراً مؤزراً، اندحروا بعده تماماً من هذه البلاد..، ورضي بأمر الخليفة الجديد عمر بن الخطاب في عزله وتولية أبي عبيدة بن الجرّاح قيادة جيوش المسلمين، لأنه يقاتل في سبيل الله ونشر هذا الدين، طامحاً إلى الشهادة، وليس من أجل خليفة أو زعامة.. قال يوم موته آسفاً ألاّ يقضي شهيداً: «لقد شهدت مائة زحفٍ أو زُهاءَها[2]، ما بقي في بدني شبر إلاّ وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح، ثم أموت على فراشي كما يموت العير[3]! فلا نامت أعين الجبناء..»[4].

وما أحوجنا في هذه الظروف القاسية إلى قائد مثل خالد يلمّ الشمل، ويحرّر الأرض المحتلة، وينصر القلوب الجريحة والكسيرة..

ج ـ قادة أبطال

أشهر هؤلاء القادة بعد العصر الإسلامي هو المجاهد البطل صلاح الدين الأيّوبي، الذي آلمه احتلال الصليبيين لبقعة من الأرض الإسلامية، فعمد إلى تخطيط سليم بحيث بدأ بتوحيد المناطق المحيطة بالصليبيين، واهتم بتدريب الجنود وتسليحهم، ثم توجه إلى مقاتلة الصليبيين بشجاعة

(١) ديوان أغاني العودة، ص ٨٩ ـ ٩٧ .
(٢) زهاءها= ما يقرب منها.
(٣) العير= الحمار. وكانوا لا يحاربون عليه...
(٤) أحمد العوامري وآخرون: المرشد في الدين الإسلامي، ج٣، ص ١٤٤. المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥١.

وحكمة، فانتصر عليهم في معركة حطين سنة ١١٨٧م، ثم توالت انتصاراته..

يصوّر اسكندر الخوري البيتجالي بطولات صلاح الدين الأيوبي في قهر الصليبيين، وبناء صرح مجد تليد، وحلم كبير، فكان بذلك مفخرة لنا وقدوة، لعلّ الزمان يجود علينا بمثله فيحرّر الأرض ذاتها مرة ثانية.

قال الشاعر في قصيدة «صلاح الدين»: [الوافر]

صلاح الدِّين فخر الأولينا! أراك اليوم فخر الآخرينا
وكنت لشرقنا حصناً حصيناً وكنت لأمة العرب الأمينا
وإن تك يا صلاح الدين ميتاً فإنك في عداد الخالدينا
أقمت لنا المواسم خير ذكرى لنا كي نأمن الشرَّ الدفينا
وقد خِفْت الأجانب يوم حلّو فلسطيناً بزيّ الزائرينا
بُعَيْد «الفصح» فانقلبوا جنوداً قد اكتسحوا البلاد مسالمينا
يذكّرنا صلاح الدين مَنْ قَدْ «أباحَ لنا صروح المجد دينا»
فَحُقَّ لقومنا أن يستفيدوا من اليوم الذي يتذكرونا
كفى نوماً بني قومي وجهلاً بموقفنا تجاه الفاتحينا
تفرقنا ولو أنّا اتّحدنا «أبينا أن نُقِرَّ الذُّلَّ فينا»
تُرى هلاّ يعود لنا زمانٌ على عهد الملوك الراشدينا»[1]

يُعلن الشاعر أجمل مشاعر الاعتزاز بصلاح الدين وبطولاته، ويؤكّد أنه بات فخر الأولين والآخرين، ويدلّل على أسباب ذلك بأن هذا البطل كان الحصن المنيع لأمة العرب، ولذا فإنّه خالد الذكر وإن مات، بعد أن استأصل الشرّ من بلادنا: فقد أدرك هدف الزائرين من الأجانب، الذين ما لبثوا أن

(١) ديوان العنقود، ص٨٥ و ٨٦.

انقلبوا جنوداً يحاربون العرب، ويحتلّون أرضهم بالحيلة والخديعة والغدر بعد «عيد الفصح».

ويذكر الشاعر أنّ صلاح الدين هو أحد بناة صروح المجد، التي باتت مقدسة بعد الدين، وأصبح من حقّ العرب وواجبهم أن يستفيدوا من تجارب السابقين واللاحقين، ثم يهيب الشاعر بالعرب أن يستيقظوا من سباتهم، وينهضوا ويرفضوا الذلّ، ولا ينسوا عادات قومهم العرب في صدّ الفاتحين ودحرهم.

بعدئذٍ يعلّل الشاعر أسباب ضعفنا وانهزامنا، حيث يشخّص الداء، ويعزوه إلى الفرقة والضعف، ويؤكد أننا لو اتّحدنا لما رضينا بالذل، ولاستطعنا التحرر من القيود.

وأخيراً يتمنى الشاعر أن يعود عهد الازدهار الديني إلى ربوعنا، تماماً كما كان في عهد الخلفاء الراشدين...

وهكذا كان الشاعر منسجماً مع التاريخ، فيما جرى منذ قرون، ومصوّراً للواقع، وما حلّ بنا، وما نسعى إلى تحقيقه، في قصيدته التي بدت واضحة المعنى، قوية المبنى، كلماتها سهلة مألوفة، ودلالاتها واضحة، نُسِجَت كلماتها على البحر الوافر، ذي لتفعيلات الطويلة التي تنسجم مع هذا الشعر.

خامساً: في الكتب السماوية

١ ـ يتمنى الشاعر محمود سليم الحوت أن تسود الوحدة منطقة الهلال الخصيب ومصر، مؤكداً وجود عوامل الوحدة، فالشعب واحد، ولغته واحدة، وتراثه واحد، وأن العروبة لن تحيد عن الاهتداء بنوري القرآن والإنجيل، حيث يقول: [البسيط]

متى أرى الوحدة السمحاءَ باسطةً حنانها في الهلالِ الخَصْب والنيل
فلا سياسات أربابٍ تُحاكُ لنا ولا مُقامات أصنام تماثيل
ولا حدودٌ مريباتٌ تمزّقنا وترفعُ السدَّ بين الميل والميل
ونحن شعبٌ لسان الله يجمعنا وكلُّ ما وَرِثَتْهُ وثبَةُ الجيل
إن العروبة لن ترضى، وقد أثموا بغير نورين: قرآن وإنجيل[1]

من هذه القصيدة ومن واقع الحياة ندرك أنه بوحدة المسيحيين والمسلمين يقوى العرب ويقهرون الصعاب ويحقّقون الأماني...

٢ ـ ونُشرت في ديوان عبد الرحيم محمود عدة أبيات من قصيدة «القرآن الكريم» المفقودة، وهي في البحر المتقارب، جاء فيها قوله: [المتقارب]

كتابٌ أضاء دياجي الظُّلَمْ وأهدى الأنَامَ لأهدى أُمَمْ
وكان الرُّعاةُ رعاةَ الشّياهِ فصار الرُّعاةُ رعاةَ الأُمَمْ
كلامُ العظيمِ عظيمُ الكلامِ فجلَّ العظيمُ وجلَّ الكلِمْ[2]

٣ ـ ويبيّن الشاعر محيي الدين الحاج عيسى أنّه بمجيء القرآن والإسلام نُسِخت الديانات السماوية السالفة وطويت الكتب السابقة، إذ دحضت الآيات المحكمات كلَّ ريب وتحريف، لأنّ نور الحقيقة سيبقى مشرقاً ويفضح أدعاء كل جاحدٍ وكاذب: [الرمل]

هبط الوحيُ بما فيه على قلب خير الخَلْق بل خير نبي
جاءه ذكراً ونوراً ساطعاً فطوى ما قبله من كتبِ
صرعَ الباطلَ في مرتعه فتداعت قائمات النُّصُبِ
ومحت مُذْ فُصّلت آياتُه محكمات ظُلُماتِ الرِّيَبِ

(١) ملاحم عربية، ص ١٩٦.
(٢) ديوان عبد الرحيم محمود، ص ٢٥٨.

هـو نـورُ اللهِ لا يُـطْـفِـئُـهُ جـاحِـدٌ أو مُـدَّعٍ بـالـكـذِبِ[1]

٤ ـ ويقتبس إبراهيم طوقان آيات حكيمة من القرآن الكريم، ويبدو هذا بجلاء في قصيدة «اقتباسات من القرآن»، التي يُرجَّح أنّها نُظِمت سنة ١٩٢٩م، غير أنه استعمل هذه الآيات في معانٍ لم تَرِدْ في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله: [الخفيف]

غـيـر أنّـي أَلِـفـت هـمّـي وغـمّـي (فكُلي واشربي وقرّي عينا)[2].

ويبدو الشاعر في هذا المقطع الذي انتهى بهذا البيت أنه قد أَلِفَ همَّه في الوجد، وفراق المحبوبة، فقال لها ما قال: بينما وردت الآية في القرآن الكريم: ﴿فكلي واشربي وقرّي عيناً﴾[3]، أي كلي يا مريم من الرطب بُعَيْد ولادة عيسى، واشربي من السريّ وقرّي عيناً بالولد..

ويقول إبراهيم في بيت ثان: [البسيط]

وكيف يبغون عن نار الهوى حِوَلاً (وعندهم قاصراتُ الطَّرْف أترابُ)[4]

يستغرب الشاعر هنا كيف يأنفون الهوى وحولهم الحسان، اللّواتي أعمارهنّ واحدة، بينما وردت الآية في القرآن الكريم: «وعندهم قاصرات الطَّرْف أترابُ»[5]، أي أنه يجزى ـ في الجنّة ـ المؤمنون بمن لا يلتفتن إلى غير أزواجهنّ، وأعمارهنّ واحدة، وهنّ بنات ثلاث وثلاثين سنة.

ويقول إبراهيم في بيت ثالث: [مجزوء الرمل]

---

(١) من فلسطين وإليها، قصيدة القرآن الكريم، ص ١٧٧.
(٢) ديوان إبراهيم، ص ١٨٧.
(٣) سورة مريم، الآية ٢٦.
(٤) ديوان إبراهيم، ص ١٨٧.
(٥) سورة ص، الآية ٥٢.

نـحـنُ مَـن سُـمْـنـاك وَجْـداً (وفـتـنّـاك فـتـونـاً)[1]

يصوّر الشاعر الحسان ـ في هذا المقطع الذي انتهى بهذا البيت ـ بالحور العين، وحمام الأيك اللواتي يبهرن العيون، وكيف انبرت حسناءٌ منهنّ تخاطبه بقولٍ محيّر بين الجدّ والهزل قائلة: إنهنّ اللواتي أذقنه حزناً، وشغفته بجمالهنّ وحبهنّ فتوناً..

لكنّ هذه الآية وردت في القرآن الكريم: ﴿وقتلتَ نفساً فنجّيناكَ من الغمّ وفتنّاكَ فتوناً﴾[2] ومعناها أنك يا موسى قتلت القبطي بمصر، فاغتممت لقتله من جهة فرعون، فاختبرناك بالإيقاع في غير ذلك، وخلّصناك منه بأسلوبٍ معجبٍ مذهل.

سادساً: الأماكن المقدسة

توجد في فلسطين أماكن مقدسة كثيرة، أهمها، المسجد الأقصى، كنيسة العهد، الحرم الإبراهيمي، وقد نظم فيها الشعراءُ قصائد عديدة، منها:

١ـ يؤكد حسن البحيري أن النار تشتعل في صدره وهو يرى كلَّ مكان في المسجدِ الأقصى مغموماً مكتئباً لوقوعه أسيراً بيد البُغاةِ، وليس مَنْ ينتصرُ له، ويقول: [البسيط]

وَقَفْتُ في «المسجد الأقصى» أسائِلُهُ والنارُ في جَنَباتِ الصَّدْرِ تَسْتَعِرُ
ما بالُ محرابكَ الطُّهْريِّ تغمُرُهُ ظِلالُ غمٍ دُجاها ليس ينحَسِرُ
وما لمنبرِكَ القدسيِّ مكتئباً فما عليه لصوتِ الحقِّ منتبرُ
وللمآذن قد غابت أهلَّتُها فما عليها لإشراق الهدى أَثَرُ

---

(١) ديوان إبراهيم، ص ١٨٧.
(٢) سورة طه، الآية٤٠.

فقال مُسْتَعْبِراً والرَّوعُ ينطِقُهُ والأرضُ من تحتِهِ البركانُ ينفجرُ:
رمى البغاة رحابي رميَ منتَقِمٍ وليس لي من مرامي حقدهم وَزَرُ
وليس لي من ذوي القُربى أخو شَمَمٍ وليس لي من طُغاةِ الجورِ منتَصِرُ...

ثم يعرّج الشاعر على «الناصرة» و«كنيسة القيامة» و«بيت لحم» فيصف أحوالها قائلاً: [البسيط]

ففي «القيامة» هاماتٌ منكَّسَةٌ يُدمي أكاليلها الشوكُ الذي صَفَروا
يا ويْلتا أُسكتتْ أجراسُها وغداً يبكي لآلام «فاديها» بِها الحجَرُ
وفي ذُرا «بيتِ لحمٍ» فوق «مِذْودِها» و«مهدِها» مُدَّ من ليلِ الأسى أزُرُ
فلا ترانيمُها فيها مرتَّلَة وليس تحت قباتِ النورِ معتمِرُ
و«جارةالطور»[1] والأحداثُ تحجبها مادَتْ بأحزان أيقوناتها الجدُرُ
جراحُها تصاريفٌ تكابدُها مَشَتْ ركابٌ بها واستصرخت نذرُ

وتتعاظم غضبة الأماكن المقدّسة حتى توشك أن تنبتر وتهتزّ أسس الإسلام، وتبكي آيات القرآن بقوله: [البسيط]

فكادت «القبلةُ الأولى» و«صخرتُها» عن «الحَطيم» و«ركنِ البيت» تنبترُ
وزلزلت أُسس الإسلام نائبَةٌ بكَتْ لها في طُروس «المصحفِ» السُّرُرُ!
ألم تروا أن محرابي منبَره وآيتي بدِثارِ الغمِّ تَدَّثِرُ
تهدَّدتها شِفارُ الجورِ وٱحتربَتْ في ساحِها نُوَبٌ واستفحلت غِيَرُ
ما بالكم يا ملوكَ العُرب في دَعَةٍ وأُمَّةُ العُرْبِ واحزناه تُحْتَضَرُ
قوموا ٱدفعوا عَنْ حماكم ما ألمَّ بهِ من نائباتٍ بدَجنِ الهولِ تعتكِرُ
أو ارقبوا من رياحِ الشعب عاصفةً تجتاحُ مَنْ صَغِروا منكم ومن كبروا
تمضي بكم متيهات الفناءِ فلا يبقى على وجهها من ريحكم أثَرُ![2]

---

(١) يعني بـ «جارة الطور» الناصرة.

(٢) لفلسطين أغني، قصيدة «المسجد الأقصى» ص ٨٧ ـ ٩٤.

نحسُّ في هذه القصيدة أنّ قلب الشاعر يكاد ينفطر ألماً ولوعةً على ما حلّ بفلسطين ومقدّساتها الإسلامية والمسيحية، من احتلالٍ وامتهانٍ وإذلالٍ وتدنيس، مثلما نحسّ أنّ المقدسات ذاتها تبدو صامتة مكتئبة تكادُ تنبتر، ومع هذا كلّه فهي لا تجد ذا حميّة وعزّة من ذوي القربى ينتصر لها، ويحرّرها من دنس المحتلّين البغاة، ولهذا كلّه اهتزّت أسس الإسلام، وبكت آياتُ القرآن الكريم.

إنّها قصيدة مؤثّرة، وردت على البحر البسيط لتستوعب سرد مأساة الوطن والمقدّسات..، وجعل الشاعر لها قافية ليّنة تتناسب مع أغراضه. والقصيدة تشِفُّ عن إحساس صادق لدى الشاعر بحرمة المقدسات، وأكتئابها، والضرورة الملحّة لإنقاذها، والضيق والدهشة من الخنوع والسكوت على احتلالها وسوءِ حالها. ولا يكتفي الشاعر بالتلميح، بل يستنهض همم العرب ليهبوا إلى نجدتها، علّهم يتأسُّون بالخليفة المعتصم، الذي سارع إلى نجدة امرأة مسلمة مظلومة في «عمورية»، ثم يسأل الشاعر زعماء العرب عمّا يشغلهم عن فلسطين وأهلها، وكيف لا يهبّون لنجدتها حتى بعد مضي عشرات السنوات على احتلالها... ويقرّر أخيراً أنه إذا لم يحرّك ذلك إحساسهم فلينتظروا رياح الشعب تكنسهم بلا أسف..

٢ ـ ويعرب كامل الدجاني عن حنينه وشوقه إلى المحراب والحرم والدار التي أقصي عنها بقوله: [الوافر]

حـنـيـن لا يـروّح واذكـار ... وآلام وآمـال تـثـار
إلى محراب روحك في صفاء ... تـوجّـه كـلـمـا طـلـع الـنـهـار
إلى الحرم الذي اجتمعت عليه ... قوى الدنيا، فأجلتها الشفار
إلى الدار التي أُقصيت عنها ... حُداةُ الركب شوقٌ وأذكار[1]

(١) في غمرة النكبة، قصيدة «المحراب»، ص ٢٠.

سابعاً: المناسبات الدينية

إنّ شعب فلسطين يُجِلّ المقدسات والمناسبات الدينية ويوليها عناية فائقة، وهذه المناسبات عديدة أهمها: عيد الفطر، عيد الأضحى المبارك، عيد المولد النبي، ذكرى الإسراء والمعراج، ليلة القدر، شهر رمضان المبارك، وعيد الميلاد المجيد. وقد نُظِمت فيها قصائد خاصة بهذه المناسبة أو تلك، أو جرى ذكرها في قصائد أُخرى متنوعة، وهذا يدلّ على اهتمام المسلمين والمسيحيين بها، وتقديرهم لها، وهو أمر طبيعي بالنسبة إلى شعب الأرض المقدّسة، الذي اشتهر بإقامة احتفالات بالمناسبات الدينية، وجعل لها مراسيم خاصة، ولا سيّما في عيد الفطر، وعيد الأضحى، وليلة القدر، وعيد الميلاد، حتى باتت موضع إعجاب شعوب العالم كافّةً.

أ ـ وبمناسبة شهر رمضان المبارك نظم عبد الكريم الكرمي قصيدة عنوانها: «رمضان السمح الكريم» جاء فيها: [الخفيف]

الأهازيجُ في السماء وفي الأر ... ضِ تُحَيِّي شهرَ الهُدى والنورِ
والسَّنا يملأُ القلوبَ ويجلو ... عن مُحيَّا الدنيا ظلامَ الشرورِ

* * *

رمضان السَّمْحُ الكريمُ يَدُ اللهِ ... على العالمين عذبُ النَّميرِ
ضَمَّخَ العربَ بالطيوب فكانوا ... وحدةً في صحيفةِ المقدورِ
إيه شهرَ الصيامِ طهَّرتَ روحي ... وفؤادي وما بِجِنِّ ضميري
في لياليك أسمعُ النَّغم العلويَّ ... يسري مغلغلاً في الدهورِ
كلَّما أصغت النفوسُ إليهِ ... طهرت من ضلالةٍ وفجورِ
أنتَ من علَّم المساواةَ، فالناسُ ... سواءٌ، في بُرْدِكَ المنشورِ
أَنتَ وحَّدتهم فلا فرقَ ما بين ... يتيمٍ وبينَ ربِّ سريرِ

عـالـمٌ أنـتَ مـن صـفـاءٍ وطُـهْـرِ وأمـانٍ وأنـتَ دنـيـا شـعـورِ[1]

شهر رمضان «أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار»، فيه أُنزل القرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان﴾[2]، وفيه يلتقي المسلمون في المساجد والبيوت بقلوب مفتوحة للوعظ والإرشاد، وتكبل الشياطين في الأصفاد، ويجزل العطاء من ربّ العباد. فرمضان خيراته كبيرة، وهو أكبر من أن تحيط به قصيدة؛ وأجمل الشعر هو ما يقال في شؤون الدين والفضائل ومكارم الأخلاق، لأن نجاحنا وتقدمنا يرتكز عليها جميعاً أولاً وأخيراً، قبل غيرها، رغم أهميته.

ب ـ وبمناسبة عيد الفطر يوجّه هارون هاشم رشيد، في سنة ١٩٥١م، أَنَاتٍ وأمنيات في قصيدة له إلى إخوانه اللاجئين، ، الذين يطالعون العيد بحسرة ولوعة، فيقول: [مجزوء الوافر]

أعيدَ الفطرِ، هـل للاجىء المحروم من فطر؟

وقد أسلمه العـاتون.. للأسقـام والفقر..

أعيدَ الفطر هل تدري تُرى أم أنت لا تدري؟

أتدري أن خيـر الناس قد ضلّوا على القفر؟

وهام الأخوة الأحرارُ، من قطرٍ إلى قطر

وليس لهم سوى التأنيب والتقريع والزَّجر

أعيدَ الفِطر لا جئْتَ، إذا لم تأتِ بالنصر

---

(١) ديوان أبي سلمى (عبد الكريم الكرمي) ص ٣٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

إذا لم تأتِ والأوطان في بحبوحة الخير
إذا لم تأتِ والأحرارُ ملء الموطن الحرّ
إذا لم تأتِ والنزّاحُ قد عادوا إلى الوكر
إذا لم تأتِ بالتحرير والإنقاذِ والفخر[1]

وهكذا فإن الشاعر يقصُّ على العيد كيف أنّه يمرّ على اللاجئين المشتتين وحالهم قد تردّت، والناس يصطهدونهم في بلاد العربة، وعلى هذا فهو لا يرحب بالعيد إذا لم يُحَرّر الوطن، ويرجع النازحون إليه، وينعموا في بحبوحة وسعادة.

ورغم أنّ الإنسان بفطرته يفرح بالعيد، ويلتذُ به، لكن عيد المشرَّد لا يكون بلبس الخزّ والحرير، وأكل ما لذّ من طعام وشرب عصير، بل بتحقيق الأماني الكبرى، وبمقدمتها النصر والتحرير.

ج ـ ويلتفت الشاعر حسن البحيري إلى ميلاد النبي محمد ﷺ مستلهماً الذكرى الكريمة، بقوله: [الكامل]

يا يومَ ميلادِ النبيّ محمدِ ... يا مُفرداً في الدهر عن أضرابه
ما كنتَ إلاّ عبرةً لأُولى النُّهى ... كرَّ الزمانُ بها على أحقابه
ما كنتَ ذكرى مأكلٍ أو مشربٍ ... أو ملبسٍ تُغْري بُرُوقُ سرابه
ما كنتَ إلاّ ذكرةً وضّاءَةً ... ضاءت لذكراها سبيلَ صوابه[2]

د ـ وعندما قصفت سلطات «إسرائيل» كنيسة القيامة في ليلة عيد الميلاد أطلق كمال ناصر، الشاعر الوطني، المحب للنبي عيسى، صلوات الله عليه، شكواه من احتلال مهد المسيح، ومعرج النبي محمد ﷺ ولرؤيا شعبه

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣١.
(٢) ابتسام الضحى، ص ٥٩ ـ ٦٠.

مشرداً، ويتمنى عليه أن يغضب للمظلومين وينقذهم وبلدهم ممّن ظلمه قبلهم، . . وآن لرسالة المحبة أن تغضب وتنتقم؛ ويقول في قصيدة «عيسى ابن مريم»: [الكامل]

يا ليلة الميلاد هذا شاعرٌ ... يشكو الأذى في ليلة الميلادِ
أحلامه ذبلت، وعاجلها الرّدى ... فذوت على غصن الصبا الميّادِ
ما للرؤى العمياء تجرحُ مقلتي ... تنتابني في صحوتي ورقادي
فتموتُ أغنية المسيحِ على فمي ... ألماً، ويخرسُ كلُّ طيرٍ شادي
وتلوحُ لي هذي الدنى أسطورة ... للبؤسِ تهزم غمرة الأعيادِ
فأرى بها شعبي الجريح مشرّداً ... فوق الشعاب يلج في الأصفادِ!
واسمع جراح المهد تهتف نقمةً ... واضيعة الأولاد والأحفادِ!

* * *

عيسى ابن مريم قد عرفتك هادئاً ... فأغضب ولو في ليلة الميلادِ
واشهد مآسي الغرب، كلُّ جريمةٍ ... قامت هناباسم المسيح الفادي
أما المحبة فلتحوّلْ غضبةً ... هوجاءَ، تذكي الحقد في الأغمادِ
أما الحنان فسوف نمشي بآسمه ... ثأراً، لتعلو رايةُ الأمجادِ[1]

إن بهجة الأعياد قد تلاشت في فلسطين، بعد أن خيمت ظلال الاحتلال عليها، فتبخر الأمن والسعادة، وغارت الفرحة والبسمة، فالشعب ممزّق ومكبل بالأصفاد، والمقدسات كئيبة حزينة تئن وتنوح تألماً مما حلّ بها وأهلها.

وإنّي موقنٌ أن النبي الذي يبثّه الشاعر شكواه أكثر معرفة باليهود، وأعمق إدراكاً بسوء نواياهم، وخبث أساليبهم، وخطورة مؤامراتهم، ودناءة نفوسهم، وهو وإن صبر على معاناته. . يدرك الدواء الناجع لردعهم. والله

(١) الآثار الشعرية، ص ٣٤٣ و ٣٤٤.

نسأل أن يذيقهم طعم أقسى انتقام لنفسه ولشعب فلسطين عند هبوط النبي عيسى الموعود من علياء السماوات.

هـ ـ ومن ذكرى هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام يستلهم عبد الرحيم محمود المعاني الخالدات، ويوضح أن هذه الهجرة لم تكن فراراً من أعدائه وإنما تجميعاً لقوى، ما لبثت أن كرّت عليهم واحتلّت مكّة، وحطّمت الأصنام وانتشر الإسلام، ويأمل الشاعر في سنة ١٩٤٥ أن تلي هجرة شعبه ـ إذا حدثت، كما توقع ـ عودة مظفّرة، مثلما حصل إثر هجرة الرسول ﷺ: [الرمل]

لم تكن هجرةُ طه فرّةً ... إنما كانت على التحقيق كرّه
كانقباض الليثِ ينوي وثبةً ... وانقباض الليثِ في الوثبة سَوْرَه
نصروا الله فلم يخذُلْهُمُو ... بل جزاهم ربُّهم فوزاً ونَصْره
فَمَشَوا في الناسِ نوراً وهدى ... وبَدَوا فوقَ جبينِ الدهر غُرّه
ركَزوا أرماحهم فوق العُلا ... وحدا الحادي بهم عزّاً وشُهره
لا يصونُ الحدَّ إلاّ جِدَّةٌ ... ويذيبُ القيدَ إلا نارُ ثوره
هاجرَ الهادي إلى رُجعى فإن ... نحنُ هاجرنا فماذا بَعْدُ هَجْرَه؟
وإذا نحن خرجنا في غدٍ ... هل يحنُّ الناسُ للأقصى بزَوْره؟
ليس يحمي الحقَّ إلاّ فتكةٌ ... ويعيدُ الحقَّ فينا غيرُ قَسْرَه[1]

وزن هذه القصيدة هو بحر الرمل. وقد أحسن الشاعر عندما صوّر هجرة الرسول ﷺ بانقباض الأسد حتى يعود وينقضّ على فريسته، غير أن الشاعر يشكّك في قدرة الفلسطينيين على العودة إذا نزحوا، ويقرّر أن الحقّ لا يُصان بغير القوة، ولا يعاد بغير سحق الأعداء.

ولقد صدق حدس الشاعر عبد الرحيم محمود حيث حلّت بشعبه

(١) ديوان عبد الرحيم محمود، ص ٢٦٠ ـ ٢٦٥. والسَّوْرة: وثبة، أو غضب وهياج.

النكبة، وطالت الغربة، ولم يستطع الفلسطينيون وسائر العرب قهر أعدائهم وتحرير فلسطين حتى الآن.

و ـ وكان لذكرى «الإسراء والمعراج..» الخالدة أثر بالغ في نفوس الشعراء، وهي التي تمتلىء بالعبر والفوائد، ولكم يتألم الشعراء عندما تمرّ ذكراها، والقدس ترزح تحت الاحتلال، والشعب بين مكبّل ومشرّد.

١ ـ وهذا هو الشاعر هارون هاشم رشيد يقول مخاطباً أرض الإسراء والمعراج: [الرمل]

إسألوها كيف لبّينا النداء ومشينا نقحم الهولَ اقتداءا
إسألوها كيف سرنا عزّلاً نتحدّى البغي.. عزماً ومضاءا
ليت شعري أين منها شعبها شيّعت «يافا» و«حيفا» البسلاءا
أين والإسراءُ يبدو ذاهلاً والبُراق الحقّ يستوحي السماءا
ليت شعري أين أبطال الحمى ما لهم لا يُنقذون الإسراءا
وحماةُ الدين ما أقعدهم عن فلسطين فما شدّوا اللواءا
كيف لا تدفعهم نخوتُهم والمقداساتُ تنادي النُّصراءا
صرخات لو أصابت جبلاً لهوى من هولها حزناً وناءا[1]

لقد قاتل الشعب الفلسطيني بسلاح خفيف نسبياً، بينما تقاعس حماة الإسلام والعروبة عن زجّ سلاحهم الثقيل في أقدس معركة، وعجباً كيف لا تدفعهم نخوتهم إلى نجدة المقدسات التي تستصرخهم، والتي لو أصابت صرخاتها جبلاً لهوى من قوتها حزناً وألماً.

إن هذا استصراخ فعلي من الشاعر لنجدة المقدسات، وهو أسمى مهمة

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١٣٨ و ١٣٩.

للشعراء في هذه الظروف، وفي هذا المقام لا بدّ من القول: هل للمقدسات من معتصم يلبي نداءها؟!!

٢ ـ ويبيّن الشاعر وديع البستاني بعض فضائل «ليلة المعراج» بقوله: [الرمل]

ليلةُ المعراج ما أدراكَ ما ... ليلة المعراج: سلْ عنها الزمانا
ليلةٌ للناس فيها خَبَرٌ ... ملأَ الكونَ زماناً ومكانا
سبَّحَ الأملاكُ والعرش ازدهى ... وتلاقى عيسوانا أحمَدانا
إن في الدنيا لقدساً واحداً ... لا سواهُ ولنا لا لسوانا
واسأل الصخرة تعلمْ أنها ... قبّةٌ للمجد أعلتها يدانا[1]

أُسري بالنبي محمد ﷺ من مكة المكرمة إلى القدس، حيث صلى بالأنبياء إماماً، ثم عُرِج به إلى السماوات العلا، نفساً وروحاً، وفرضت على المسلمين الصلاة، وأصبح الجزاء على كلِّ عملٍ حسن بعشرة أضعافه، والسيئة بمثلها.

ويبين الشاعر أن القدس والأرض المباركة حولها غنيَّة بالجنائن والأشجار المثمرة، وهي للعرب والمسلمين وحدهم دون غيرهم.

وبعد قيام الثورة الفلسطينية يؤكد ناجي علوش أن المسيرة الجديدة ستحقق النصر والعزّة، مثلما حققت المسيرة الأولى للمسلمين، ويقول: [الطويل].

أيدري الذي أسرى بأن جموعنا ... قد انتفضت ذعراً وقد هتفت ثأرا
ولم نرضَ من غير العروبة رايةً ... ومن غير ما أوحت لثورتنا سفرا

(١) ديوان الفلسطينيات، قصيدة «ليلة المعراج» ص ١٩٨. دار البشائر، بيروت، ط٢ (١٩٨١م).

لقد كانت الأولى جلالاً وعزّةً فما أعظم الأولى وما أعظم الأخرى[1]

ز ـ وفي ذكرى غزوة بدرٍ ألقى الشاعر محمد العدناني قصيدة بعنوان «ذكرى بدر»، في مهرجان أقيم بهذه المناسبة في القدس (سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) قال فيها: [الوافر].

سلوا التاريخ عمّا قد فَعَلْنا وقد دارت رحى بدرٍ طَحُونا
سحقنا الشِرْك فيها دون لينٍ ومزّقنا صفوف الكافرينا
لكل ثلاثةٍ منهم شجاعٌ من الشُوسِ الأُباةِ المؤمنينا
إذا شَدَّت كماةُ العُرْب مادت جحافل خصمهم هلعاً وهُونا
وحسبهم الرسولُ أخا جِلادٍ يفُضُّ الجحفلَ اللجبَ الحرونا
فيمعنُ في جناحيه اقتحاماً ومَن لم يقضِ خلْفَهُ طعينا

* * *

بني قومي! أعيدوا عهدَ بدرٍ وكونوا كالصَّفا متماسكينا
فوِحدتكم تقوِّضُ كلَّ بغيٍ وتُجلي عنكم الداءَ الدَّفينا
وكونوا ـ إن تفوَّهتم ـ لساناً يقول الحقَّ وضاحاً مبينا
وقلباً واحداً، إن نابَ شَرٌ نُهَدِّمُهُ به مستبسلينا[2]

في غزوة بدر كان عدد المسلمين ثلاثمائة واثني عشر رجلاً وامرأتين، بينما بلغ عدد الكفّار أضعافهم، وقاتل المسلمون الكفار صفاً واحداً، وقاتل الملائكة إلى جانبهم، حتى هُزِم الكفار شرَّ هزيمة، فقتل منهم الكثيرون، وفرَّ الباقون، ووعد الله من اشترك من المسلمين في هذه الغزوة بالجنة، حتى عُدَّت نواة نصر المسلمين، وبداية اندحار الكافرين وزوالهم.

أحسن الشاعر تصوير مجريات المعركة، وأحسن أيضاً في توجيه النداء

(١) النوافذ التي تفتحها القنابل، ص ١٧. دار الطليعة، بيروت، ط١(١٩٧٠م).
(٢) ديوان اللهيب، ص ٦٧ وما بعدها.

إلى بني قومه، علّهم يعيدون عهد بدر، ويكونون كإخوان الصفا متحابين موحّدين، يقولون كلمة الحقّ، ويجاهدون في سبيلها، كيف لا والقوة في الوحدة، والضّعف والانهزام في الفرقة؟!.

ح ـ حريق المسجد الأقصى في القدس

وبعد أن أُضرم حريق في المسجد الأقصى بتاريخ ٦٩/٨/٢١، أتى على منبر المسجد، واشتعلت النار في سطحه الجنوبي، وأتت على سقف ثلاثة أروقة وجزء كبير من هذا القسم، بفعل أيدٍ مجرمة تعمّدت الجريمة مع سبق الإصرار، وأدّعت سلطات «إسرائيل» أن مرتكب هذه الجريمة دينيس مايكل وليم (٢٨ سنة) معتوه، وما لبثت أن أَطلقت سراحه[١]

والواقع أن السلطات الإسرائيلية دبرت الجريمة، إذ قطعت المياه عن منطقة الحرم فور ظهور الحريق، وحاولت منع المواطنين العرب وسيارات الإطفاء التي هرعت من البلديات العربية للقيام بإطفائه، ولكنهم اندفعوا وأطفأوا الحريق.

وفضلاً عن ذلك فإن أعمال الحفريات ـ بأمر من هذه السلطات ـ مستمرة منذ عام ١٩٦٧ حول المسجد وتحته، وتحت الحرم الشريف والمساجد والمدارس وبيوت السكان العرب هناك [٢]، رغم استنكار العالمين الإسلامي والعربي، والمؤتمر العام لليونسكو.

ومما يجدر ذكره أن هذه الجريمة تستوجب وقفة إسلامية عنيدة تنقذ

---

(١) هيئة الموسوعة الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية، مجلد٤، ص ٢٠٥. دمشق، ط١ (١٩٨٤).

(٢) المصدر السابق نفسه.

القدس خاصة، وفلسطين عامة، من براثن الأيدي المجرمة في الأرض المحتلة...

يومئذ هبّ الشعراء وأعلنوا سخطهم على المجرمين، وناشدوا المسلمين والعرب أنْ يهبوا لإنقاذ المسجد الأقصى وكنيسة المهد وكل فلسطين...

١ ـ وفي هذه المناسبة الأليمة يثور محيي الدين الحاج عيسى، معلناً حزنه وسخطه، منبّهاً لخطورة الحال، محذراً مما يجري، طالباً استئصال الشر حتى يزول الخطر ويعمّ الأمنُ والسلام العادل، ليس فلسطين وحسب، بل بلاد العرب كافةً، ويقول في قصيدة «حريق المسجد الأقصى»: [البسيط].

أين الصريخ؟ وأين النارُ تندلعُ ... أم أين ذاك العويلُ المُرُّ يرتفعُ
في القدس؟ في المسجد الأقصى فواحزني عليه، وهو بنار الحقد ينصدِعُ
ماذا يريدُ عدو اللّه؟ قد عظُمَتْ ... منهُ الجرائمُ واستشرى به الجشَعُ
بالأمسِ قد سلبَ العذراءَ حليتَها ... مستهتراً ما له من وازعٍ يَزَعُ
وداسَ من حُرُمات اللّه أقدسَها ... في القدس، وهو بطبع الشرِّ مندفعُ
واليوم تستهدفُ الأقصى أَذيَّتُهُ ... يا غيرةَ اللّهِ تغشاه فلا تَدَعُ
الدِّين للّه مَن يحرق معابده ... يَلْقَ لجزاءً وسخطاً ليس يندفعُ

* * *

يا مَنْ حملتم لهذا الدِّين رايته ... خفاقةً للهدى والخير يرتفعُ
مسرى رسولِ الهدى أضحى يقوّضُه ... أشرارُ خلْقٍ من الآفاقِ قد جُمِعوا
عصائبٌ أقلقوا الدنيا بفتنتهم ... ومن خُبْثِ الرِّبا والسُّحْتِ ما شبعوا
فاسْتَأْصِلوا شرَّهم فالله ناصركم ... وغُمَّةُ الكربِ عنكم سوف تنقشِعُ[1]

(١) من فلسطين وإليها، ص ١١٩ ـ ١٢٣.

ونلاحظ أن الشاعر قد عرّج على سلب اليهود حليةَ العذراء، حيث اعتادوا على السرقات، وانتهاك حرمات مقدسات العرب ـ مسلمين ومسيحيين ـ ويذكّر بسخط الله على من يعتدي على حرماته، ويعِدُهُ بسوء مصيره في نار جهنم، والله يمهل ولا يهمل. وهذا لا يعني ـ برأي الشاعر ـ أن نسكت عما يفعل المجرمون، ولا نثور لحماية المقدسات والحقوق ونفديها بالمهج والأرواح، ولذلك فهو يدعو إلى اجتثاث العدو، الذي بات جرثومة مؤذية، وأصبحت الضرورة ملحّة باجتثاثها...

٢ـ ويبثُّ الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد أسفه على حرق المسجد الأقصى، بينما المسلمون نيام عن الجهاد. ويعجب كيف لا يغضبون لله غضبة مؤمن، وحقّ القول: إلى متى ينتظرون؟ وماذا يحرّك عواطفهم وإحساسهم؟

وكأني بالشاعر لا يجد غير صلاح الدين يناشده لينهض من قبره ويحرّر القدس، فيقول في قصيدة: «نداء إلى الأحياء»: [الكامل].

يا ثالث الحرمين حَرْقُكَ نكبةٌ ... فيها يزيد الجرح والإيلامُ
إن يحرقوك فليس ذلك بدعةٌ ... في دينهم بل إنها الأحلامُ
حربٌ على الدين الحنيف وإنها ... لطويلةٌ ما طالت الأيامُ
أسفي على الإسلام ينزف جرحه ... والمسلمون عن الجهاد نيامُ
لم يغضبوا لله غضبة مؤمنٍ ... رأوا العدو بأرضهم وتعاموا
ما قيمة الدمع الهتون أصوغه ... شعراً وشعبي للهوان يُسامُ
(من لم يمت بالسيف مات بغيره) ... ولكل نفس في الحياة مرامُ
أين الملايين الذين نعدّهم ... أوليس فيهم فارسٌ مقدامُ؟
كيف الحقوق تضيع من أصحابها ... إن كان فيهم مبدأ وحسامُ

قم يا صلاح وشاهد القدس التي حرَّرْتها يزهو بها الحاخامُ
فلعلَّ سفر المجد يفتح صفحة فيطلُّ يومٌ مشرقٌ بَسَّامُ[1]

لقد أجمل الشاعر مصيبة القدس وفلسطين فأجاد وأبدع، ومما يجدر ذكره أن قضيتنا عادلة، يدركها العالم بأسره، وليس ثمة داعٍ للتواني عن الجهاد وسحق المجرمين المستمرّين في غيّهم وظلمهم. والدموع لا تنفع..، والملايين بلا فعل لا تعدل صلاح الدين، وإزاء ذلك لم يجد الشاعر خيراً من مناشدة صلاح الدين، علّه ينهض فيحرّر فلسطين ومقدساتها من جديد، ويفتح سفر المجد الذي بات مغلقاً.

إذا كانت الملايين تصمت على هذه النكبات والجرائم، وتكتفي بالخطابات والبيانات، فهذا ما يشجع العدو على الإيغال المستمرّ في امتهان كرامة المسلمين والعرب وسلب حقوقهم وإذلالهم، وصدق من قال: من يهن على نفسه هان على الناس. والواقع أن انقساماتهم ونزاعاتهم قد أضعفتهم، وصرفتهم عن القضايا المقدسة إلى مكاسب بسيطة، وأنانيات مهينة، فكانت من أكبر العوامل التي سهّلت على العدوّ فعل ما فعل، وكانت أيضاً عاملاً مفيداً له، ومساعداً على النصر أكثر من قوّته وإمكاناته..

ثامناً: الظلم والعدوان يقابلهما صبر وصمود

إن تاريخ فلسطين يعج بقصص عدوان اليهود على العرب في فلسطين، مسلمين ومسيحيين، ولا سيما بعد قيام دولة «إسرائيل»، ومنها مذبحة دير ياسين سنة ١٩٤٨م، ومذبحة كفرقاسم سنة ١٩٥٦م، وعمليات القتل الجماعي والإفرادي والسجن والظلم والاضطهاد المتكررة في قرى ومدن

(١) حسني جرار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج٣، ص ١٠٧ ـ ١٠٩.

فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ يعرفها الداني والقاصي، وهي تدُل على الروح الأنانية والإجرامية والعدوانية عند اليهود، الذين يشهد التاريخ بحبهم للمال والربا وسعيهم للأذى بالنفاق والدهاء والمكر والخداع، حتى لم يسلم منهم كل من أحسن إليهم، وبمقدمة هؤلاء الأنبياء أنفسهم، وأخص بالذكر النبي عيسى عليه الصلاة والسلام. وإذا قُتِل يهودي مجرم أو انتقم منهم هتلر يقيمون الدنيا ويقعدونها، ولما ضاقت دول أوروبة بهم وأساليبهم ونواياهم الدنيئة ذرعاً عَمِلَت على التخلّص منهم عبر تشجيعهم على التوجه إلى فلسطين وإقامة دولة لهم فيها.

ومما يعجب له أن الذي يصرخ مدعياً أنه مظلوم يقوم بارتكاب جرائم أكثر عدداً وأقسى بشاعة، وكأن قتل يهودي مجرم حرام، وقتل عشرات الآلاف من العرب لا أهمية له، وهو حلال. ويدلّ على ذلك ادّعاؤهم بأنهم شعب الله المختار، وأن بقية الناس وجدوا ليكونوا خدماً لهم. وقد بلغ بهم الصلف والعنت حدّ إنكار حق الفلسطينيين في وطنهم، واعتبروهم أغراباً يجب التخلصّ منهم. والحقيقة عكس ذلك: إذ ليس لجموع اليهود القادمين حق في فلسطين، حيث لم يكن في فلسطين من اليهود إلاّ قلّة زهيدة حدّدها المؤرخون مراراً وتكراراً.

على أية حال «فإن حقاً وراءه مُطالب لن يضيع»، و «إن الله يمهل ولا يهمل» و ﴿سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون﴾ [١].

١ـ ويوم حصد جنود «إسرائيل» خمسين مواطناً عربياً في قرية كفرقاسم، ليلة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م ظلماً وعدواناً. قال توفيق زياد

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

في قصيدة «كفرقاسم»: [مشطور المتقارب].

ألا هل أتاك حديث الملاحمْ

وذبح الأناسي ذبح البهائم

وقصة شعبٍ تسمى:

حصاد الجماجم

ومسرحها..

قرية اسمها كفرقاسم[1]؟!

وعندما ضاقت سلطات الاحتلال ذرعاً بتوفيق زياد ألقت به في سجن الرملة، في أيار عام ١٩٥٨، وتسرّب من خلف قضبان ذلك السجن المشؤوم صوت شاعر عنيد، استطاع المضيّ إلى الأمام، حيث زرع السجن في أعصابه بذور الثورة. وألقى في قلبه شعلة العزم المتوقد، فراح يصيح من وراء القضبان معلناً صموده وكبرياءه:

ألقوا القيود على القيودِ

فالقيد أوهى من زنودي

لي من هوى شعبي

ومن حبّ الكفاح، ومن صمودي

عزمٌ.. تسعّر في دمي

ناراً على الخطب الشديد!

ويحتقر الطغمة الحاكمة الآثمة.. ويرفع جبينه عالياً متحدياً.. ويقول:

---

(١) ديوان توفيق زياد، مجموعة «ادفنوا أمواتكم و نهضوا» ص ٣٠٦.

لا تحسبي زرد الحديد،

ينال من همم الأسود!

ويضيف غير عابىء بالظلم والاضطهاد، مؤكداً إيمانه بالنصر وعودة النازحين:

يا طغمة الحكام زيدي

هل لاضطهادك من مزيد..؟

ألقي القيود على القيود

سيعود شعبي في ضياء الشمس

من خلف الحدود

سيعود.. رغم النار، والأغلال

خفّاق البنود[1]...

والواقع أنه ليس بمقدور شعراء غير مجربين أن يقفوا هذه المواقف، وأن يصمدوا هذا الصمود، وأن يدركوا هذه الأبعاد الثورية، وأن يتحملوا العذابات ويصبروا ويدعوا للبقاء والنضال، ولهذا عبّروا عن إيمان بحتمية النصر، وعودة النازحين. وقد بشر الله تعالى الصابرين بالأجر العظيم. حيث قال: ﴿ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين﴾[2].

٢ـ ويستمرّ هؤلاء المجرمون الآثمون في الظلم وسلب الأراضي وسجن الأبرياء وقتل العامل الباحث عن عمل، ورميه على قارعة الطريق.

---

(١) ديوان توفيق زياد، مجموعة «أشد على أيديكم» ص ١٠٢ ـ ١١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

ويصوّر محمود درويش هذا العمل الشنيع في قصيدة «القتيل رقم ٤٨» قائلاً:

وجدوا في صدره قنديل ورد.. وقمر

وهو ملقى ميتاً فوق حجر

وجدوا في جيبه بعض قروش

وجدوا علبة كبريت وتصريح سفر..

وعلى ساعده الغضّ نقوش

* * *

عندما شبّ أخوه

ومضى يبحث عن شغلٍ بأسواق المدينة

حبسوه..

لم يكن يحمل في الشارع صندوق عفونه

وصناديق أُخر

آه أطفال بلادي

هكذا مات القمر[1].

* * *

إن هذه صورة من صور البلوى التي تعمّ.. وتلمّ بالناس.. فيتهاوى الضحايا واحداً بعد الآخر.. ويشتد الظلم والظلام!

ولكن الله تعالى أباح للمظلوم أن يثور على ظالمه، ويقاتله، حيث

(١) ديوان محمود درويش، مجموعة «آخر الليل» ص ٢١٧ و ٢١٨.

obeikandl.com

قال: ﴿أُذن للذين يُقاتلون بأنهم ظُلِموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾[1].

وقال الرسول ﷺ: «إنّ الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»[2].

فللمظلوم حقّ مشروع في رفع الظلم عن نفسه، والله ينصره ما دام يعمل في طاعته، لأن الله تعالى لا يرضى الذلّ والمهانة لمؤمن كريم، وقد قال: ﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾[3].

وأعجب حين أرى أن الظلم الذي حاق بالفلسطينيين من اليهود في هذا العصر، فاق كل ظلم، ومع هذا لم يثر المسلمون ولا العرب جميعاً، بل ها هم يكتفون بالمؤتمرات والبيانات والخطابات، ويتركون الشعب الفلسطيني وحيداً في الساح، بينما تجتمع من حوله كل قوى البغي والعدوان في العالم!!..

وإذا تذكرنا كبائر الإثم التي تؤدي بأصحابها إلى النار، والتي حددها الإمام شمس الدين الذهبي[4]، نلاحظ أن اليهود بمقدمة المتوغلين في هذه الآثام، ومنها الظلم والقتل والربا، والكذب والفتنة والمكر والغدر والأذى.

تاسعاً: المهاجرون ومن ينصرونهم

تحرس العناية الإلٰهية المؤمنين المهاجرين ومن يؤوونهم وينصرونهم، وقد وعدهم المولى بالرزق الكريم والمغفرة في الدنيا والآخرة، لقوله وهو

---

(١) سورة الحج، الآية ٣٩.

(٢) النووي - يحيى بن شرف: رياض الصالحين، ص ٩٩. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م).

(٣) سورة «المنافقون»، الآية٨.

(٤) انظر كتاب الكبائر صفحات متفرقة. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

أصدق القائلين: ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرةٌ ورزق كريم﴾[1].

إنها لنعمة جلّى وفوز عظيم لا فوز مثله. وطوبى لمن أطاع الله وجاهد في سبيله وكانت هجرته لله ورسوله، وفي سبيل حقه ووطنه.

وفي قصيدة بعنوان: «إلى المعذبين في الأرض» قال الشاعر أحمد فرح عقيلان: [البسيط]

لا تُذْهِبوا النفس أحزاناً فكم عَرَضتْ ... للمصطفى محنةٌ بالصبرِ لَمْ تَدُم
فإن تكونوا خَرَجْتُمْ من مساكِنِكُم ... قَسْراً فقد أُخرِجَ الهادي مِنَ الحَرَم
وإن تَجُوعوا فخيرُ الخَلْقِ قاطبةً ... قضى الطُّفولةَ بينَ العُدْم واليُتُم
سَلُوا بِلالاً وعمَّاراً ووالِدَهُ ... عَنْ السَّلاسِلِ والرَّمْضاءِ والأَلَم
إن عذَّبُوا الجِسْمَ فالإيمانُ مُعْتَصِمٌ ... بالقَلْبِ مِثلَ اعْتِصَامِ الليثِ بالأَجَم[2]

ويقول في قصيدة ثانية موجهة «إلى مؤتمر القمة الإسلامي في الرباط»: [البسيط]

فأَعْلِنُوها على الأعداءِ مُسْلِمَةً ... تُلقِي بِمَنْ حَرَقُوا الأَقداسَ في اللَّهَبِ
سِيرُوا على اسمِ الذي يحمي مَسِيرَتَكُم ... فَمَنْ سَعَى في سبيلِ الله لَمْ يخِبِ
وَمَنْ تكُنْ في سبيلِ الله هجرتُهُ ... فَتَحْتَ إِمْرَتِهِ جيشٌ مِنَ الرُّعُبِ
ولْتَجْعلوا من حُطامِ القُدْسِ أَشْرِظَةً ... تَنْصَبُّ فوقَ عَدُوِّ اللهِ كالشُّهُبِ[3]

إنّ الهجرة لم تزد المسلمين الأوائل إلاّ إيماناً وصلابةً، وإصراراً على قهر الكافرين.

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٧٤.

(٢) حسني جرار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج٥، ص ٧٢.

(٣) المصدر نفسه.

وأعتقد أنّ حالنا ليست أقلّ حاجة إلى مثل هذه الروح وهذا الجهاد المستمر، دون كلل أو ملل، وعندئذٍ فالنصر آتٍ لا محالة.

عاشراً: تضحيات واستشهاد

إن الشعب الفلسطيني يدافع عن حقوقه باستمرار، ويضحّي في سبيلها بالأموال والأنفس، ولا يذكر هذا الباب إلاّ ويذكر دور أبناء فلسطين إلى جانب أمثالهم من أبطال الجزائر وفيتنام، ولم يترك الفلسطينيون وسيلة في الجهاد والتضحية إلاّ وسلكوها: قاتلوا بالخنجر والبندقية والمدفع، وها هم أطفال فلسطين العزّل يقاتلون بالحجارة، وتلقوّا ـ مثل آبائهم ـ، رصاص العدو بصدورهم، فسقط منهم العشرات والمئات بين جريح وشهيد، ولم تُثنهم جميعاً أساليب الاضطهاد والسجن والقتل والتشريد عن رسالتهم في الدفاع عن كرامتهم وحقهم وتحرير بلدهم. إن معاناتهم كبيرة، لكنهم يصبرون، ولن تلين لهم قناة، أو يهدأ لهم بال قبل تحرير وطنهم، والمناضل الفلسطيني يتربص إحدى الحسنيين: إما نصراً ليعيش في الحياة عزيزاً كريماً، وإما استشهاداً، فيحيا في جنة الخلد، ويبقى محموداً، حيث يقول ربّ العالمين: ﴿قل هل تربّصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين﴾[1].

ويكفي الشهيد فخراً وعزة وشرفاً أن ينزل الله الآيات التي تشيد بفضله، وتضمن تكريمه وخلوده بالجنة، ومنها قوله: ﴿ولا تحْسَبَنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية ٥٢.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ١٦٩ و ١٧٠.

وقال الرسول ﷺ في ذلك: «تضمَّن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيله وإيمان به، وتصديق برسلي فهو ضامن أن يدخله الجنّة أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلاً بما نال من أجر أو غنيمة»[1]. وقال أيضاً: «ما أحد يدخل الجنة يحبُّ أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلاّ الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة»، وفي رواية: «لما يرى من فضل الشهادة»[2]. وقال كذلك: «والذي نفس محمد بيده لوَدِدْت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل»[3].

فأية عزّة وسعادة وكرامة أفضل من هذه التي ينالها المجاهد في سبيل الله ووطنه، فإن انتصر ظفر بالنصر والأجر والتكريم، وإن استشهد ظفر بجنة الخلد التي هي أعظم أمنية وفوز.

وهناك أقوال عديدة مضمونها أن المؤمنين أكثر الناس ٱبتلاء، وإنْ صبروا فازوا برضا الله وأجر عظيم. وطالما سمعنا المثل القائل: إنّ الفرق بين الهزيمة والنصر صمود ساعة.

وما أجمل قول شوقي في هذا المقام: [الوافر]

ولا يبني الممالك كالضحايا ولا يبني الحقوقَ ولا يحقُّ
وللحريّةِ الحمراء بابٌ بكل يدٍ مضرَّجةٍ يُدَقُّ[4].

و«لئن كان الناس يعبرون إلى الموت من طريق الحياة، فإنّ الشهيد يعبُرُ

---

(١) عبد الله ناصح علوان: الإسلام والقضية الفلسطينية، ص ١١٨.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) فوزي عطوي: أحمد شوقي (أمير الشعراء) ص ١٦٠ و ٣٢٦.

إلى الحياة من طريق الموت». وهذا هو الشاعر سعيد عبد الهادي تيم يكرم الشهيد بقصيدة له بعنوان «مرثية شهيد» حيث يقول: [مجزوء الرمل]

إرفعوه إرفعوه فوق أعناق الرجالِ
وازرعوه في جبين الـ ـلّيلِ نجماً في الأعالي
أيُّ أمّ لم تزغرد أيُّ رأس غير عالي
أيّ طفل لم يردّد عاش أبطال النّزالِ

* * *

حين طارت قبّراتُ الحقلِ غنّت بانفعالِ
ربَّ حيٍّ عاش ميتاً عمره فوق الزوالِ
وشهيد ليس يفنى راقد في كل بالِ[1]

أحد عشر: أسباب النكبات

إن للشعراء وجهات نظر خصة في أسباب النكبات التي حلّت ببلادهم، تختلف عن تلك التي يراها غيرهم. فالشاعر الإسلامي أو المسيحي هو الذي ينظر إلى الحياة بمنظار دينه، وتنسجم أفكار، وأمانيه مع هذا الإطار، وهذا ما نجده عند الشعراء المتدينين، وعلى سبيل المثال نلاحظ في شعرهم صورة الإيمان بالله وبوحدانيته وبالقضاء والقدر والموت والبعث، فضلاً عن وضعهم أصابعهم على الجراح، وإشارتهم إلى أسباب النكبات والفشل. ويبرز في مقدمة هذه الأسباب التساهل بفرائض الإسلام، واتباع الأفكار المستوردة، والأهواء والنزوات، ومن ثم ترك الإسلام.

يقول أحمد فرح عقيلان: [الكامل]

(١) حسني جرار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج٥، ص٦١.

إن العروبة روحها إسلامها ... والجسم دون الروح معناه الرّدى
إسأل صلاح الدين في حطّينه ... متفقهاً.. متديناً.. متعبدا
من يلتمس غير الحنيفة منقذاً ... فهو الذي ابتاع الضلالة بالهدى

* * *

لمّا تبدّلنا شرائع غيرنا ... بشريعة الإسلام أصبحنا سُدى
تلك المبادىء مزّقت أعلامنا ... وغدا بها الشمل الجميع مبددا
وإذا اليهودي الذليل يجوس في ... أقداسنا متبجحاً.. متمردا
جيش العروبة حين أعلن أنها ... دينٌ أقام العالمين وأقعدا
واليوم أعلن أنها دنيا فما ... صمدت لفئران البريَّة شُرّدا[1]!!

لقد صوَّر الشاعر الإسلام بمثابة الروح في جسد الأمة العربية، وهذا الجسد بدون الروح ـ الإسلام ـ مصيره الموت المحتّم. ولعمري إنّ الشاعر لم يَعْدُ الحقيقة في قوله هذا، لأن صلاح الدين كما أشار قد انتصر فعلاً بمبادىء الإسلام. ولما قاتل العرب في سبيل الدين انتصروا، أما حين وجهوا همَّهم في سبيل الدنيا هزمتهم عصابات اليهود المجمَّعين من أقطار العالم...

ويقول الشاعر نفسه في موضع آخر: [الوافر]

هُزِمنا يوم ضاع الدين منّا ... أليس الكفر مصدر الانهزام؟
وهمنا بالمناصب وهي غُلّ ... وأسلمنا الأمانة للحرامي[2]!!

أما الشاعر أحمد الصدّيق فيقول: [الطويل]

فلسطين ضاعت يوم ضاعت عقيدة ... وبات فساد الحال أقبح مقتنى[3]!

---

(١) مأمون فريز الجرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٤٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٥.
(٣) المصدر السابق نفسه.

وليس ثمّة شك بأن التخلّي عن الدين يعني فقدان القيم والأخلاق، ويصبح المنصب هو غاية المنى، ويُضحّى في سبيله بكل شيء، وعندما تساهل العرب في عقيدتهم، وبات النزاع والانقسام والضعف والأنانية والفساد سِمَةَ حالهم خسروا فلسطين، ولحقَ بهم الذلُّ والهوان قال الله تعالى: ﴿وأَطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[1]!

اثنا عشر: متطلبات النصر والتحرير: العودة إلى الله،

إعداد العدة، الجهاد والعلم والأخلاق

أولى الشعراء النصر ومتطلباته عناية خاصة، ويُعزى ذلك إلى توقهم الشديد إلى تحقيق النصر وتحرير فلسطين، وما لهذا الجانب من أهمية وفائدة في حياة الأمة وتقدمها، وبذلك فإن الاتجاه الديني يدفع إلى إنجاز متطلبات النصر والتحرير وأهمها: تقوى الله وطاعته والاحتراس من المعاصي، الاهتمام البالغ والإعداد الكامل لقضية التحرير، القتال من أجل إعلاء كلمة الله، جعل القضية الفلسطينية قضية الإسلام والمسلمين، وحدة البلاد السياسية تحت إمرة واحدة، النصر محقق بإذن الله، استمرار القتال حتى تحرير الأرض المحتلة جميعها، التعاون المستمر، التضحية والفداء، العلم والأخلاق.

أ ـ العودة إلى الله بالتقوى والطاعة

طاعة الله واجبة على كل إنسان، و«إن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه».

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

ويقول تعالى: ﴿إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا﴾[1]، ويقول أيضاً ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[2].

١ـ يرى الشاعر أحمد صدّيق أن النصر المطلوب لا يتمّ إلاّ بنصرنا لله وتحكيم شرعه حيث يقول: [البسيط]

إن تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا ولا تخافوا حشود الناس كلّهم
ووثقوا عروة الإيمان فهي لكم عربون نصرٍ وسيف غير منثلم
سيرحل الليل لن يبقى له أثر إلاّ صدى مرّ في التاريخ كالحلم[3]

ويقول معلناً العزم على النهوض وزحف الحشود إلى فلسطين لتحريرها: [المتقارب]

فلسطين يا مدرج الأنبياء ويا معلماً في طريق الخلود
إليك سننهض يوماً قريباً وتزحف بالحقّ منّا الحشود[4]

٢ ـ ويعلن عدنان النحوي إيمانه بأن المجاهدين الذين سيفلحون في تحرير فلسطين هم مؤمنون، لقوله: [البسيط]

لا يستعيد حمى الأوطان غير هدى من الكتاب.. وعُبّاد له دانوا
تشوقت لجنان الخلد أنفسهم فأرعدت في البطاح الحمر فرسان[5]

وهذان البيتان ينسجمان مع قول الله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما

---

(١) سورة الحج، الآية ٣٨.
(٢) سورة محمد، الآية ٧.
(٣) مأمون فريز الجرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٥٨.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) مأمون فريز الجرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٥٨.

بدّلوا تبديلاً﴾[1].

فالذين يثبتون على الإيمان مهما اشتدت الصعاب هم مؤمنون حقاً، يهبون أرواحهم رخيصة في سبيل الله والوطن فينتصرون، ومن يطلب الموت توهب له الحياة...

٣ ـ ويقول الشاعر أحمد فرح عقيلان في طاعة الله والعامل الديني في الوحدة: [البسيط]

دينُ السماءِ يؤاخي تحت رايته ... في الله بين ملوك الأرض والخدم
والناس في حكمة العالي ذوو عملٍ ... كأنهم عسكر في خدمة العَلَم
إن تنصروا الله ينصركم فمن نظرت ... له العناية لم يهزم ولم يُضَم[2]

ثم يشير أحمد عقيلان إلى وحدة العرب التي مزقتها دول الغرب، حتى بات عيدنا هو يوم لمّ شتاتنا، بقوله: [الخفيف]

إنّما نحن وحدة مزّقتها ... دول الغرب باصطناع الحدود
إن يوماً يلمُّنا من شتاتٍ ... هو للمسلمين أسعد عيد[3]!!

ب ـ الإعداد النفسي والمادي

ـ إعداد العدَّة لمواجهة العدو بالجهاد المخلص

الإعداد للقتال أمر ضروري لتحقيق النصر والتحرير، ورفع راية الدين والقيم، والانطلاق في مواكب الحضارة والتقدم. والإعداد نوعان: معنوي ومادي. فالمعنوي: يتلخص في تثقيف المواطنين والجنود وتحسين سلوكهم،

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.
(٢) حسني جرار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج٥، ص ٦٦.
(٣) المصدر السابق، ص ٦٩.

ونشر حقائق القضية المطروحة، وإقناع شعوب وحكّام العالم بها. أمّا الماديّ فيتلخص بإنشاء جيش كبير وتدريبه، وتأمين أفضل الأسلحة المتطورة له، سواء من طريق التصنيع أو الاستيراد، وتأمين فنيين وأسطول بحري وجوي قويين، وذخيرة وبترول ومال وطعام يكفي لفترة طويلة.

ولا بدّ أن يكون الحاكم أو القائد قدوة للفرد في الخلق والقتال، ويشارك الجميع دون أدنى تقاعس في الجهاد، الذي هو فرض عين في عرف الإسلام، لا يستثنى منه إلاّ من لا يستطيع لسبب صحي أو قاهر...

فإقامة الخلافة الإسلامية وتحرير الأرض وتثبيت الأمن والعدل والسلام لا يتمّ إلا بالجهاد المرير، لا بالتوسل والمقايضات والمساومات الرخيصة، المهينة بحق الإسلام والمسلمين. فالجهاد وحده هو طريق العزّة وسبيل النصر، ومفتاح السيادة، وباب الخلود. والمجاهد يتربص إحدى الحسنيين: إمّا النصر وإما الشهادة. والحرية تنتزع بالقوة والتضحيات، ولا تنال بالاستجداء. قال الله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا يعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿وجاهدوا في الله حقّ جهاده﴾[2]، وقال كذلك: ﴿والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾[3] وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾[4].

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢١٨.

(٤) سورة محمد، الآية ٧.

١ـ وهذا هو الشاعر أحمد فرح عقيلان يؤكد أنّ حقوق العرب في فلسطين قد تُسْتَرَدُّ بالقتال ولكنها لم ولن تسترد في مجلس الأمن، ويقول: [الخفيف]

لا تُرَدُّ الحقوق في مجلس الأمـ ـنِ ولكن في مكتب التجنيد!
إنّ ألفي قذيفة من كلامٍ لا تساوي قذيفة من حديد[١]!

وبالفعل فإن الكلام الكثير ضد العدو لا يؤثر فيه ولا يزحزحه عن الأرض المحتلة مثل قذيفة واحدة. وحكم الشاعر هو حكم خبير مجرّب يبغي أقصر الطرق إلى الحلول وأنجعها..

٢ـ أما الشاعر محمد صيام فينادي الناس إلى الجهاد، لأنّه الطريق الصحيح الذي يضمن تحرير فلسطين، وهو الطريق الذي سلكه الفاتحون الأبطال والقادة العظام في تاريخنا أمثال خالد بن الوليد وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي، ويقول هذا الشاعر: [الخفيف]

فالجهاد الجهاد يا أيّها النا سُ بعزم وقوّة ومضاء
تحت راياتِ خالدٍ وصلاح وشعاراتِ سيّدِ الأنبياء
فطريقُ الجهادِ بالرغم ممّا فيهِ من شقوةٍ ومن أعباء
هو ما لن نحيدَ عنهُ فبُعداً لدُعاةِ الحلولِ والاجتناء[٢]

وممّا تجدر الإشارة إليه هو تفضيل الشعراء للجهاد على أيّة وسيلة أخرى لتحرير الوطن، لأنه يؤدي إلى الحلّ المشرّف، محتملين من أجله العذاب والشقاء والهموم، رافضين الحلول الرخيصة...

---

(١) حسني جرار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج٥، ص ٦٨ و ٦٩.

(٢) مأمون فريز جرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٥٧.

٣ ـ ويؤكّد الشاعر حسن البحيري قناعته بشروط الجهاد وتحقيق النصر، ومنطق الدين في إعداد العُدَّة للقتل، ويشدّد على ذلك بقوله: [مجزوء الكامل]

هبُّوا استعدُّوا للغَلَبْ وخذوا ليومكم الأَهَبْ
سيروا إليهم كاللّهبْ وأروهم عَزْمَ ٱلعربْ
إشحذوا قَغْسَ ٱلهِمَمْ
بلِّغوا الشرق مناهْ
إلى الأَمام بالعَلَم
إلى الأمامِ... للحياه
هُبُّوا بإقدامِ الأُسودْ فأَمامكم خَضْمٌ لدُود...!
وٱبنوا كما بَنَتِ ٱلجدودْ وتَبَوَّأُوا أَوجَ ٱلخلودْ[1]...

بدا البحيري في هذا المقام شاعراً موضوعياً يتوخّى النصر، ورفعة هذه الأمة وعزّتها، لذا فإنّه راح يوجّه الدعوة إلى إعداد العدّة التي تمكّن من الظَّفَر والغَلَبَة، ولمْ يكتفِ بذلك، بل ناشد الجماهير أن تهبّ إلى شحذ الهمم، وهجر التقاعس والتواكل، لأنّ الحرب تحتاج إلى شجاعة وإقدام واستبسال في القتال، ولهذا نصح شعبه بالتقيّد بهذه الأُسس، وحذّره من التراخي في وجه عدوّ لدود لا يرحم، علّ هذا الشعب يتأهب ولا يؤخذ على حين غرّة، وأنّه بات لزاماً عليه أن يهبّ بإقدام الأسود، ويجود بالتضحيات الغالية، لأنَّ الحرية تُنْتَزَعُ بالقوّة والفداء والدم ولا تُعطى...

ثم تمنى على بني قومه تحقيق النصر وتَبَوُّأَ سُدَّة المجد والخلود، علّهم يبنون كما بنى الجدود، ليعيشوا حياة حرة، مفعمة بالهناءِ والعزّة والكرامة، ويواكبوا ركب التقدم والحضارة.

(١) الأصائل والأسحار، ص ١٢٣. القاهرة، ط١ (١٩٤٣م).

٤ ـ ويستغرب الشاعر محمود صبحة كيف يُصِمُّ العربُ آذانهم عن نصرة الجهاد، وكأنّ إحساسهم قد خُدِّر، ويدعو المسلمين إلى هبّة ونفير للدفاع عن حقوقهم المسلوبة بقوله: [السريع]

كيف أصمَّ القوم آذانهم عن نصره، والحقّ قد خُدِّرا؟
يا حامل الإسلام عن بنده فادفع، ويا ابن العُرْب هيا انفرا[١]

٥ ـ ويعلن الشاعر محمد صيام أن الشعب لن يكلَّ من الجهاد، ولن يتزحزح عن حقه أو يساوم عليه، وسوف يستمر في النضال والقتال حتى يحقق النصر ويعود عودة الظافرين: [مجزوء الكامل]

فأنا ابن شعبٍ لن يكلَّ من الجهاد ولن يلين
ولسوف يشعلها لظىً حتى يعود إلى العرين[٢]

ولما كان مبدأ الإسلام صريحاً في الدفاع عن الحقوق المغتصبة والحرمات المنتهكة فقد أمر الله المسلمين أن يقاتلوا الذين يقاتلونهم ويخرجونهم من ديارهم، ونهاهم عن العدوان بقوله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشدُّ من القتل﴾[٣].

وأرى أنّ الحرب مع «إسرائيل» يجب أن تستمر مهما كلّفت المسلمين والعرب من الضحايا حتى يتمّ تحرير فلسطين بكاملها. . وممّا يجدر بالذكر أنّ الدفاع عن هذه الحقوق جهاد في سبيل الله، وردت بشأنه آيات كثيرة في

---

(١) الفردوس المنشود، مجموعة شعرية، ص ٨٧. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٩.
(٢) حسني جرار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج٢، ص ٧٩.
(٣) سورة البقرة، الآيتان ١٩٠ و ١٩١.

القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[1]، وقوله أيضاً: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾[2]، وقوله كذلك: ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون..﴾[3].

وتأكيداً على إكرام الله للمجاهدين في الجنة قال الرسول ﷺ: «إنّ أبواب الجنة تحت ظلال السيوف»[4].

إنّ الظلم لن يدوم، وإذا كانت جولة الباطل ساعة، فإنّ جولة الحقّ حتى قيام الساعة.

ولعلّ اليهود يتوافدون من أقطار العالم إلى فلسطين لتكون مقبرة لهم بإذن الله يوم النصر الموعود للمسلمين على لسان رسوله الكريم، حيث قال: ﴿لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيختبىء اليهود من وراء الشجر والحجر، فيقول الشجر والحجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي، تعالَ فاقتله إلاّ الغرقد فإنه من شجر اليهود»[5].

ويدل حديث الرسول ﷺ على أنّ اليهود يبلغون في يوم من الأيام الذّروة في القوة والسيطرة باجتماعهم في أرض إسلاميّة، وكأن حديث الرسول ﷺ خاص باجتماعهم هذا، ولعلّ نهايتهم ستكون بالسحق والمحق

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤١.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٠ .

(٣) سورة التوبة، الآية١١١.

(٤) عبد الله علوان: الإسلام والقضية الفلسطينية، ص ١١٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٨٩.

في عصرنا، لنشفي غليلنا بعد أن عانينا منهم الكثير والكثير.

ومن غير شك أنّ الحرب المشار إليها سيقود جحافلها عبادٌ مؤمنون، ومسلمون صادقون، أمّا وقتها فالله يعلمه والناس لا يعلمون.

ج ـ العلم والأخلاق

طلبُ العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وقد رفع الله العلماء درجات عالية لقوله تعالى: ﴿ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[1]، وقوله أيضاً: ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماءُ﴾[2]، وقوله كذلك: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[3].

وللتدليل على أهميّة العلم قال الرسول ﷺ: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد»، وقال أيضاً: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة»[4] و: «إن العلماء ورثة الأنبياء»[5].

فالعلم ينير العقول، ويوقظ المشاعر، ويضيء الطريق المظلمة، فيميّز الإنسان بين الخير والشر، وقد يخترع شيئاً أو يبتدع فكرة تسهم في توفير الحياة الحرّة الكريمة له، وبالعلم تبلغ الأمم أوج مجدها، وأرفع مراتب الحضارة. أمّا الأخلاق فهي عماد نجاح الأمم والأفراد. وبالعلم والأخلاق يمكن أن يسهم العرب في مسيرة النضال لتحرير الأرض على كل صعيد.

---

(١) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٣) سورة الزمر، الآية ٩.

(٤) يحيى بن شرف النووي: رياض الصالحين، ص ٣٩٥.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٩٦.

١ ـ وهذا هو الشاعر عدنان النحوي يدعو إلى العلم والأدب بقوله: [البسيط]

هُبُّوا إلى العِلْم وٱستعْصُوا بِقَلْعَتِهِ فإنَّ حِصْنَ وعزَّ الدولةِ الأدَبُ
هذي المعاقلُ آمالٌ لأمتنا مصانعُ يَرْتجيها الشرقُ والعَرَبُ[1]

٢ـ ويقول الشاعر محيي الدين الحاج عيسى في العلم: [الطويل]

وهل كَبِنَاءِ العِلْمِ شُيِّدتْ منائر تُنِيرُ على الدُّنيا بِنُورِ رَشادِ[2]

٣ ـ ويبيّن الشاعر علي الريماوي فضائلَ العِلْم، وكيف راح العلماءُ يهدون إلى سواء السبيل، بقوله على لسان العِلْم: [الخفيف]

قام روسو باسمي وقام شكسبيـ ـر وكلٌّ يهدي إلى السبيلا

*** *** ***

أَوما قد فَتَحْتُ بابَ المعالي أَوَما قد أَنَرْتُ هٰذي العقولا
أَوَما قد عَمَّرْت في الغربِ والشَّرقِ بلاداً أصبحن ظِلاً ظليلا
بي هذا الإنسان أصبحَ إنساناً قؤولاً كما يشاءُ فعولا
ذاك فِعْلي وهذهِ حَسَناتي ماذُنُوبي إنْ عاش شَعْبٌ جَهُولا[3]

ويتمنّى الريماوي أن يكون العِلْم للسلام... وخير الشعوب، بدل الدّمار والخراب بقوله: [الخفيف]

إيه يا عِلْم ما أُحيلاكَ لولا أَنّني غاضبٌ عليكَ طويلا
إنّما أنتَ للحياةِ فلِمْ أَنتَ لِهٰذي الحُروبِ كُنْتَ الرَّسُولا[4]؟

---

(١) مأمون فريز جرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٢٦.
(٢) من فلسطين وإليها، ص ٢٨٢.
(٣) عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص ١٩٨، نقلاً عن النفائس العصرية، الجزء الأول، السنة السادسة ١٩١٤م، ص ٥٢.
(٤) المصدر السابق، ص ١٩٧.

٤ ـ ويدعو الشاعر اسكندر الخوري البيتجالي إلى أن يكون العلم نعيماً للشعوب لا جحيماً يُشيع الهول والرّعب قائلاً: [الخفيف]

قدّموا العلم وأجعلوه نعيماً لا جحيماً يشيع هولاً ورعبا
إنّما اليوم غير أمس فهل من وثبة للسلام تفتح دربا[1]

٥ ـ وهذا الشاعر حسن البحيري يدعو بدوره إلى إعداد القلوب والنفوس للعلم والعمل النافع، وتجنّب الملل واليأس بقوله: [مجزوء السريع]

هيّا أعِدُّوا للعمل والعلْم، قلباً لا يَمَلْ
وأدّرعوا صبرَ الأوَل يحدوكم نورُ الأمَلْ[2]

والواقع أنّه إذا اقترن العِلْم والعمل الجادّ بصبرٍ جميل كصبر أسلافنا المؤمنين، فإنّ الأمل بالنصر يصبح قريباً... أجل إنّ القدر لا بدّ أنّ يستجيب لمثل هؤلاءِ، عاجلاً أم آجلاً.

والله نسأل أن يلهمنا سبل الرشاد، ويسدّد خطانا، ويجعل النصر حليفنا، إنّه على ما يشاء قدير.

ثلاثة عشر: الدعوة إلى السِّلْم والرأي فيها

بعد أن قامت دولة «إسرائيل» على أساس اغتصاب الأرض العربية من أهلها، وتشريد معظمهم في أقطار العالم، أخذت تدعو للسلام والصلح مع العرب في حدود الأمر الواقع، رغماً عن أنف العرب جميعهم، والذي ألحق بهم الويلات والمعاناة والذلّ والهوان.

---

(١) محمد شحادة عليان: الجانب الاجتماعي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٢٥٤، نقلاً عن اسكندر الخوري البيتجالي: ديوان «آلام وآمال» ص ٩٩. مطبعة بيت المقدس، ١٩٥٤م.

(٢) الأصائل والأسحار، ص ١٢٣.

وإثر نكبة عام ١٩٤٨ والى العرب رفضهم لهذه الدعوة، واستغربوها، ورفضوها في مؤتمرات كثيرة أشهرها مؤتمرات القمة العربية. . . لكن أعوان «إسرائيل» راحوا يعملون في الخفاء، ويبذلون الجهود المتواصلة لتليين المواقف، بل لخداع العرب، وسلكوا تجاههم سياسة الترغيب والترهيب حيناً، و«الحرب الباردة» حيناً آخر، وشهدت بلاد العرب حروباً أهمها: العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وعدوان شهر حزيران عام ١٩٦٧، وبدأت تتعالى دعوات السلام والصلح من جديد، حتى أن بعض العرب المتساهلين واليائسين أخذوا يهمسون في الخفاء بإيجاد مخرج لإنهاء الحرب، وسيادة الأمن، حتى وإن كانت من طريق قبول هذه الدعوات، واستندوا في ذلك إلى قول الله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها وتوكّل على الله إنّه هو السميع العليم﴾[1].

وما لبثت أن نشأت دعوات للمفاوضات وإعادة الأراضي المحتلة بعد حرب عام ١٩٦٧م مقابل السلام، وهذا يعني الموافقة الضمنية على الاعتراف بحق «اسرئيل» المزعوم في الأراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨م، وفي ذلك قدر لا يحدّ من التجنّي على حقوق العرب عامة، والمسلمين خاصة وملكيتهم لفلسطين كأرض ووطن. . وهو يتناقض مع منطق الحقّ والحقيقة، ومواقف المسلمين والعرب قبل هذا التاريخ، كما يتناقض مع رأي الجماهير. . ، ويعتبر تجنياً على حقوقها وقرارها، فضلاً عن كونه سابقة خطيرة لها آثارها الضارّة ـ بالعرب والمسلمين ـ حاضراً ومستقبلاً.

يقول فؤاد حسنين علي عن تجميع اليهود في فلسطين: «إن الفرد من أولئك المستعمرين الدخلاء جاءها هرباً من اضطهاد، أو مرتزقاً في خدمة

(١) سورة الأنفال، الآية ٦١.

المطامع الاستعمارية الجديدة. والواقع أن دعوة الصهيونية التي رفعها الاستعمار الحديث طمعاً في القضاء على العروبة، والاستيلاء على ثروات البلاد العربية دعوة باطلة لا تستند إلى سند تاريخي علمي»[1].

وبالرغم من إدراك العالم لعروبة فلسطين، فقد تزايدت الدعوات للصلح والسلام بين العرب و«إسرائيل»، وبرز بين الدعاة عدد من شعراء الأرض المحتلة، ولكن دعوات الشعراء ظلت ناقصة، لأنّها لم تفصح عن شكل هذا السلام، حتى ليظن القارىء أنّه سلام الأمر الواقع، لا سلام العدل بعودة المشرّدين العرب إلى أرضهم، وعودة اليهود القادمين إلى البلدان التي وفدوا منها، وبذلك تعود فلسطين إلى حضيرة المسلمين والأمة العربية، وهذا ما يؤخذ على هؤلاء الشعراء الذين يؤمل منهم موقف عزّ وعدل وصلابة.

١ـ وهذا هو الشاعر حبيب شويري يقول في إحدى قصائده: [مجزوء الكامل]

العيشُ في ظلّ السلامْ بين الأزاهر والورودْ
والكون مزدهر سعيد
لا ظُلْم فيه ولا خصام بل فيه إشراق الخلودْ
السِّلْم أمنيةُ الشعوب الظامئات إلى الإخاء
الرانيات إلى الرّخاء
بدلاً من الرقص الطروب فوق الجماجم والدِّماء
من هولِ تأثير الحروب[2]

---

(١) الأدب اليهودي المعاصر، ص ٧. القاهرة ١٩٧٢م.

(٢) خليل ـ جورج نجيب: الشعر العربي في خدمة السلام، ص ٥٨. تل أبيب، دار النشر العربي، ١٩٦٧م.

وتدلُّ هذه الأبيات على تعلّق الشاعر بأهداب السلام منذ نشأته، وقد نشرها وهو ما زال طالباً في المدرسة.

٢ ـ ويوجّه الشاعر أحمد طاهر يونس نداء إلى شاعر يهودي صديق له، كي يدعو معه إلى السِّلم، آملاً أن تسود روح الأخوّة بين العرب واليهود، فتستنكر الحرب التي أسماها شرّاً، ويقول: [الطويل]

تعال لنشدو فالظلام مخيِّمٌ ولا بُدَّ أن يمضي وأن ندرك الفجرا
إلى السِّلْم ندعو مخلصين.. ألا ترى رؤوس المنايا عابساتٍ لنا حُمْرا؟

ويستمر على هذا النحو فيقول: [الطويل]

أخي الشاعر العبري هل من غضاضةٍ إذا هتفتْ بالسلم أصواتُنا جهرا؟
أعِنّي لنرعى في الديارِ أخوّةً موحَّدةَ الأهدافِ تستنكِرُ الشرَّا[1]

وقد لوحظت في الأرض المحتلة ظاهرة مشتركة بين دعاة السلام من الشعراء، تتلخّص في تفاؤلهم بتحقيق أمنيتهم الكبرى في حلول التفاهم بين العرب واليهود، وإقامة الأمن والسلام في ربوع فلسطين.

وإزاء الدعوة إلى السلم على أساس الأمر الواقع، حتى وإن تخلّت «إسرائيل» عن الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ـ الضفة الغربية وقطاع غزّة ـ تقف الأغلبية الساحقة من الجماهير العربية عامّة، والمسلمة خاصة على النقيض، ذلك أنّها تؤمن بعدم شرعية دولة «إسرائيل» على أرض عربية ـ إسلامية ـ اغتصبتها من أهلها وطردتهم منها ظلماً وعدواناً، سنة ١٩٤٨. وأنّها ترى أنّ مثل هذا السلام لا يقوم على العدل، لأنّه لا يضمن عودة فلسطين ومقدساتها إلى أهلها الشرعيين ومن ثم إلى لحضيرة العربية والإسلامية.

---

(١) جورج نجيب خليل: الشعر العربي في خدمة السلام، ص ٦٣.

وتستند هذه الجماهير إلى أحكام دينية أهمها رفض سلام الذليل مع الظالم، ورفض دعوة من يجنح للسلام وهو يغتصب حقوق الآخرين، وربط قبول الدعوة للسلام بإعادة الحقوق إلى أهلها، ولما كان اليهود لا يرضون بذلك فإنّ قتالهم لانتزاع الحقوق بات واجباً محتّماً، والجهاد في عرف الإسلام فرض عين على كل مسلم قادر على القيام بأعبائه، وتستند هذه الجماهير قبل هذا وبعده إلى حكم الله في القرآن الكريم، حيث وردت آيات صريحة تجيز لأصحاب الحقوق المغتصبة الجهاد والقتال حتى يتمّ انتزاع هذه الحقوق من المغتصبين الظالمين، وليس هذا فحسب بل إنّ مَنْ يُقْتَل دون حقه يكون شهيداً.

يقول الله تعالى: «فلا تهنوا وتدعوا إلى السَّلْم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يَتِرَكم أعمالكم»[1]، و﴿قتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين﴾[2]، و﴿إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولٰئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم﴾[3]، و﴿كُتِب عليكم القتال وهو كره لكم..﴾[4]، و﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون﴾[5]، و﴿لاتحسبنَّ الذين قتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون﴾[6]، صدق الله العظيم.

وأمّا الأحاديث في فضل الجهاد وانتزاع الحقوق المغتصبة فأكثر من أن تُحصر.

---

(١) سورة محمد، الآية ٣٥.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠.
(٣) سورة الأنفال، الآية ٧٥.
(٤) سورة البقرة، الآية ٢١٦.
(٥) سورة التوبة، الآية ٢١١.
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ أيّ العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مبرور»[1].

والجهاد يكون باليد والمال واللسان والقلب، لقول الرسول ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[2].

صحيح أن النبي ﷺ أبرم في عصره معاهدتي صلح: أولاهما مع اليهود في المدينة، وثانيتهما مع المشركين في مكة.. ولكن هنالك فرق كبير بين اتفاقية الصلح اليوم، وبين اتفاقية الصلح بالأمس..!! فاتفاقية الصلح بالأمس كانت لصالح المسلمين، وكان هدفها تطهير أرض المدينة من رجس اليهود، وتطهير أرض مكة من رجس المشركين... أما اتفاقية الصلح في هذا العصر، حتى وإن انسحبت قوات «إسرائيل» من الضفة والقطاع، فإنها ستؤدي إلى اعتراف العرب بأن الأراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨ هي وطن لليهود لا للعرب، وأنها حق أبديٌّ لهم. وفي هذا من المخاطر ما لا حدود لها. ثم ما الفرق بين الذين يرضون بذلك وبين السادات الذي رضي بإعادة سيناء لمصر واعترف بـ «إسرائيل» وتخلّى عن حقوق العرب في فلسطين كأرض ووطن قومي..؟ وهكذا فإنَّ هيئة الأمم المتحدة وكل الوساطات والمساومات لم ولن تتمكن أن تعيد لأهل فلسطين حقوقهم التامة، ولا سبيل لإعادتها إلاّ باستئصال «إسرائيل».

(١) الترمذي، الإمام أبو عيسى بن محمد (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ): سنن الترمذي، ج٥، ص ٣٧٢، فضائل الجهاد. حمص، مطابع الفجر الحديثة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. ويحيى بن شرف النووي: رياض الصالحين، ص ٣٧٥.

(٢) النسائي، أحمد بن شعيب (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ): سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي. ج٦، ص ١١ باب الجهاد. القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د.ت.

١ـ ويردّ الشاعر كمال عبد الكريم الوحيدي على الذاعين إلى الصلح المذلّ بقوله: [الوافر]

ولكن السلام يذلُّ قومي ... إذا ولّوا عن الأقصى صدودا
فليس الحلُّ في سِلْمٍ مهينٍ ... به الأغلال نلقى والقيودا
فما جزّار قبية[1]، ذا سلام ... ولا الأَخصام نرضاهم شهودا
إذا الرشاش لم يصنع سلاماً ... فلن تأتي الحقوق ولن تعودا
إذا الأرواح لم ترجع حقوقاً ... رضينا الذلَّ واخترنا القعودا
رجال المسلمين لمَ استكنتم ... لمن خانوا الأمانة والعهودا؟
فهيَّا للنفير ولا توانوا ... أبيدوا الخصم لا تبقوا جحودا[2]

فالشاعر كمال الوحيدي لا يرضى بالصلح «السلام»، الذي لا يضمن عودة الحق الشرعي إلى عرب فلسطين، وهو موقن أن هؤلاء المعتدين، المغتصبين، الظالمين، لن يعيدوا فلسطين إلى أهلها بمحض إرادتهم، بعد أن قاتلوا من أجل احتلالها، وبات من بديهيات الحق والمنطق والعدل أن يقاتل العرب عامة، والمسلمون خاصة، من أجل تحرير الأرض المحتلة، والمواطنين العرب هناك، وتحريرهم من ظلم اليهود وتسلُّطهم، حتى يعود المشردون العرب إلى ديارهم وأراضيهم معزّزين مكرّمين.

٢ـ ومن علامات الطمع والغباء أنّ اليهود يريدون صلحاً يحفظ لهم المكاسب ويرضي العرب ويضمن قيام علاقات طيبة بين الفريقين. يقول أحمد فرح عقيلان في هذا الشأن: [الوافر].

---

(١) جزّار قبية هو مناحيم بيغن، الذي حصل بعد الصلح مع مصر على جائزة نوبل للسلام!!.

(٢) حسني جرار وأحمد الحدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج٧، ص ١٥٤ و ١٥٥.

دُعاةُ السّلم قد خُدعوا وضلّوا ... وما عرفوا النوايا الغادراتِ
وهل هذا الذي عرضوه سلم ... ألا تعساً لها من مخزياتِ
سترجع ضفة الأردنّ لكن ... بما فيها من المستوطناتِ [1]

فاليهود يدعون إلى صلح يناسب مزاجهم.. ويتسترون على أطماعهم ونشر المستوطنات ومن ثمّ التوسع، ويستخدمون أساليب خبيثة مليئة بالمراوغة والخداع، ومن ذلك أنهم كانوا يناشدون العرب لقبول المفاوضات حولَ طاولة مستديرة، ولمّا تردّدت أصوات عربية موافقة بشرط أن تكون المحادثات تحت إشراف الأمم المتحدة تملّص اليهود مفضّلين التفاوض مع كل بلدٍ عربي على حدة، ثم رفضوا التعاون مع ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينيّة لأسباب لا تخفى على كل ذي بصر وبصيرة.

٣ ـ ويؤكد الشاعر محمد العدناني أن الضعيف لا يدرك حقّه، وأنّ إحقاق الحقّ يستدعي نشوء قوة عادلة تبطش بالظالمين، وتنتزع منهم الحق المغتصب.. حيث يقول: [الكامل].

لن يدركَ الحقَّ الضعيفُ تَسَوُّلاً ... هذا لعمري كُلُّهُ أوهامُ
العدلُ حيث البطشُ وارِ زندُهُ ... والحقُّ حيثُ الجيشُ، وهو لُهامُ
والمجدُ، ما بالدّمع يُخْطَبُ وُدُّهُ ... مهرُ النهوضِ دمٌ يَسُحُّ، وهامُ
ومتى أرادَ الشعبُ نشر بنوده ... فعلى الجماجمِ تُرْكزُ الأعلامُ [2]

ويقول أحمد شوقي في هذا الشأن: [الوافر].

وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تُؤخذ الدنيا غُلابا
وما استعصى على قومٍ منالٌ ... إذا الإقدامُ كان لهم رِكابا [3]

(١) مأمون فريز جرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٥٠.
(٢) فجر العروبة، ص١٥١.
(٣) فوزي عطوي: أحمد شوقي أمير الشعراء، ص ١٦٩.

فالإرادة القوية تحقق المعجزات، «ومن يطلب الموت توهب له الحياة» و«من لم يمت بالسيف مات بغيره»، أمّا من سَهُل على نفسه فيسهل على الناس، والذليل يستباح حقّه وكرامته ودمه. وقد دعا الإمام علي (كرّم اللّه وجهه) إلى الجهاد وحذّر من التخاذل والتواكل بقوله: «أمّا بَعْدُ فإنّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرعُ اللهِ الحصينة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء... فوالله ما غُزِي قومٌ في عُقْر دارهم إلاّ ذلُّوا، متواكلتم وتخاذلتم حتّى شُنّت الغارات عليكم، وملّكت عليكم الأوطان.. فيا عجباً واللّه يُميتُ القلبَ ويجلبُ الهمَّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وتَرَحاً حين صِرْتم غرضاً يُرمى، يُغارُ عليكم ولا تغيرون، ويُعصى الله وترضَون..»[1].

وبعد، فأي كلام أبلغ وأصدق وأنجح من كلام الله ورسوله (ص) والإمام علي (كرّمَ الله وجهه) في رفض التخاذل والذلّ، ووجوب الجهاد والقتال ضد الظالم، مغتصب الأرض، حتى تُعاد الحقوق إلى أهلها؟ وأيّة عزّة وشهادة أفضل من الجهاد في سبيل الله والوطن للفوز بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة؟.

أربعة عشر: مظاهر منكرة

في العصور الإسلامية الغابرة سجّل المسلمون ـ رجالاً ونساءً ـ مآثر خالدة في التقوى والإيثار والبطولة والتضحية والصبر. وعلى سبيل المثال اشتهرت من النساء خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت الرسول (ص) وعائشة أم المؤمنين في التقوى والفقه ورواية الحديث، واشتهرت أسماء بنت أبي بكر

(١) ابن أبي طالب ـ الإمام علي: نهج البلاغة، شرح محمد عبده. ج١، ص ١٢١ ـ ١٢٣. دار البلاغة، بيروت، ط٢ (١٩٨٥م).

الصديق في الإيمان والإيثار، وخولة بنت الأزور وهند بنت عتبة في البطولة والحكمة، والخنساء في التضحية والصبر. وأصبحت هؤلاء منارات مشعّة ومضرب الأمثال، ومفخرة الأمة.

ولكن الحال تبدّلت في هذا العصر: إذ تهافت الكثير من النساء والرجال في جملة المتهافتين على تقليد المظاهر الخادعة المستوردة من الغرب ـ ومن ذلك تبرّج النساء وسفورهن وإقامة محافل الغناء والرقص وتخنّث الرجال ـ والتي عجّل الدّعاة إليها في ترويجها لأهداف خبيثة علّ الفساد يعبث في الشرق، فيتحلّل المسلمون من العمل بمبادىء دينهم، وتضمحلّ القيم والأَخلاق..، وتسلب الأرض، ويتلاشى الحكام الحريصون على مبادىء الدين، وسلامة الوطن وتراثه وثرواته وكرامة أبنائه، فيتحقق وعد بلفور ـ وقد تحقّق ـ ثم تُقام «إسرائيل الكبرى»..

إنّ بناء الأمة يبدأ ببناء الفرد وصلاحه. ألم يقل حافظ إبراهيم: [الكامل].

الأم مـدرسـة إذا أعـددتـهـا أعددت شعباً طيب الأعراق؟[1]

ثم ألم يقل آخر: «إنّ وراء كل عظيم امرأة»؟ ولكن عكس ذلك كلّه صحيح أيضاً.. والدلائل كثيرة... فالتخلّي عن مبادىء الدين والقيم والأخلاق الفاضلة، وسلوك سبل الحرّية شبه المطلقة والانفلات وألفساد يورث كل هزيمة وكارثة...

ومما يعجب له أن معظم الناس مقتنعون بذلك، غير أنهم لم يفلحوا في التخلص من هذا الواقع الأليم، والالتزام بالمبادىء والأسس التي تكفل لهم التقدم المنشود..، والوحدة، والنصر...

(١) ديوان حافظ إبراهيم، ج١، ص ٢٨٢.

١ـ ويكشف الشاعر محمد العدناني النقاب عن سوء حال المتبرّجات في عرف الدين والأخلاق، وآثار هذا الانزلاق إلى أسفل الدركات، سواء على أصحابه أو على المجتمع والوطن، بقوله: [المتقارب].

رأيت العذارى خلعن العِذارا ... وأضحى لهنّ المعاصي شِعارا[١]
جمحنَ، فما ثمَّ ذو مِرَّةٍ ... يشدُّ الشكيمَ، ويحمي الذِّمارا[٢]
إذا الليث لم يحمِ أرض العرينِ ... فإنّ الذئاب تجوس الديارا
أيا حورُ من ذا يطيق على طيـ ... ـشِكُنَّ غداةَ الجماح اصطبارا
تركتنّ رغي البنين الصّغار ... ورحتن تنقزن دفّاً وطارا[٣]
وتَلْبسنَ ثوب الدِّمقْسِ الشّفيف ... وتأكلن في اليُسر خبزاً قفارا[٤]
وتُلقين بين القلوبِ الشِّباكَ ... لتصطدن من لم يُعانِ الإسارا
وتطلين بالجيرِ بَضَّ[٥] الخدود ... فتمحونَ يا غيدُ عنها النُّضارا
وتَسْوَدُّ بالفحم بيضُ الجفونِ ... فيُرخي على حسنهنّ السِّتارا
أعوذ بربي من الخادعاتِ ... يُفِضْنَ على كلِّ شعْبٍ تبارا[٦]

٢ـ وأدرك الشعراء الإسلاميون الفلسطينيون مكانة المرأة، وأهميتها في المجتمع، وتنبّهوا إلى مؤامرات الإفساد التي وجّهت إليها من أعداءِ الإسلام وما نتج عنها منذ خلعت كثير من النساء المسلمات الحجب، وتخلّت عن عقيدة المسلمين وأخلاقهم، فالتفتوا إليها يخاطبونها ناصحين محذّرين، وهذا هو الشاعر أحمد صدّيق يخاطب «الفتاة المسلمة» بقوله: [المتقارب].

---

(١) العِذار: الحياء.
(٢) المِرّة: القوّة والشدّة. الذِّمار: كل ما يلزمك حمايته.
(٣) الطّار: عند العامّة آلة طرب كالدّف، وفي إطارها قطع نحاسية.
(٤) الخبز القفار: الخبز بدون إدام، أي الذي لا يُستمرأ.
(٥) بضّ الخدود: ممتلىء ونضر.
(٦) ديوان الرّوض، ص ٢٧ وما بعدها. يُفِضْنَ: يُفرغنَ. التّبار: الهلاك.

أبنيّتي ليس التبرّج والخروج هو الفضيله

هذا ادّعاء العابثين.. ليقتلوا الأخلاق غيبه

شرف الفتاة وحسنها ألاّ تميل مع الرّذيله

في غير ظلّ اللّه سوف تزيغ فطرتك الأصيله

شقيتْ نساء الغرب فهي تئنُّ بائسةً ذليله[1].

ثم ينصحها أن تقتدي بالسلف الصالح من نساء المسلمين قائلاً: [المتقارب].

لك من ذوات الفضل آيات وأمثلة جميله

من كلّ طاهرة الذيول.. وكل عالمة جليله

أو كلّ مصلحة مربّية تدين لها الرجوله[2].

عندما يمعن المتبصّر في مسلك الكثير من النساء في بلاد الغرب، وما يؤدي إليه من مشاكل ومساوىء لا حصر لها يدرك مثل من أدركوا أنّ الشريعة الإسلامية ومسلك المرأة الإسلامية المحتشمة هما درع لحياتها الكريمة، المتّسمة بالطهارة، والمميّزة بالعزّة والسعادة.

٣ ـ ثم يصوّر الشاعر محمد العدناني «الشباب المخنّث» بقوله: [الخفيف].

ماسَ في مِطرَفِ الشباب دلالا وتثنّى كالخيزران ومالا[3]

(١) مأمون فريز الجرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٨١.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣) المطرف: رداء من حرير.

وأطال الأظفارَ حتى رأينا ... أنها أُشرِعَتْ ظُبىً ونصالا[1]
وعليه من الحرير ثيابٌ ... جَعَلَتْه مِنَ النساءِ مثالا
يحسُرُ الرأس عارضاً شعرَه السَّبْـ ... ـطَ مُدَلًّى كأنَّ فيه خبالا[2]
وتراه ـ لا كان ـ يمضغ علكاً ... وهو يمشي بين الأنام اختيالا
تخِذَ الجُبْنَ والتخنُّث عمّا ـ ... كلّما نابت الخطوبُ ـ وخالا[3]

٤ـ وتلفت ظاهرة «الخنفسة» أحمد فرح عقيلان، فيكتب «أرجوزة الخنفس»، ولعلها من أجمل ما قيل في هذه الظاهرة الشاذّة، يقول فيها: [الرجز]

عرفته بطرفه الكحيل ... وشعره المرجَّل الطويل
وقدّه المؤنث المتياس ... كبعض غلمان أبي نوّاس
وبدلة ضاقت عن الأعضاء ... تلبسها عارضةُ الأزياءِ
ونظرة ملعونة الإيحاء ... أمّارة بالسوءِ والفحشاء[4]!!

ثم يوجه الشاعر نفسه نصيحة إلى الشبان، مبيناً لهم أنّ العزّة لا تكون إلاّ بالإسلام، وسلوك دربه القويم، فيقول: [الرجز].

يا أيّها الشباب يا كرام ... العزُّ والنصر هما الإسلام
هذي السموم الحلوة الوخيمة ... قد جرعتنا الذلّ والهزيمة
وأسكنت أقداسنا الكلابا ... وحوّلت آسادَنا ذئابا
شبابنا قد أتقنَ تسريح الشعر ... والعرب قد حَلّق في جوّ القمر!
لو حكّموني في خنافس العرب ... علّمتهم من العصا معنى الأدب

(١) الظُّبى: مفردها ظُبَةٌ وهي حدّ السيف.
(٢) السَّبط: الشعر المترسّل غير الجعْد.
(٣) ديوان الروض، ص ٤٣ وما بعدها. والقصيدة على وزن البحر الخفيف التام. أي أنه اتخذ الجبن والتخنُّث بمثابة العم والخال.
(٤) مأمون فريز جرّار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٨٦ .

لأنـهـم حـشـالـة هـدّامـة لا تـفـهـم الإكرام والـكـرامـة[1]!

على كل عاقل أن يدرك ما يحفظ له كرامته، وما يسبّب له الذلّ والمهانة.

ولا أدري كيف لا يقتنع عاقل بالآثار الوخيمة التي يجرّها على المجتمع السفور والتبرّج والتخنُّث ومحافل الرقص والغناء وأماكن السباحة والصور العارية في المجلات وأشباه ذلك...

ولا يمكن لمجتمع أن يصلح دون العودة إلى الإيمان والفضائل ومكارم الأخلاق، وما يرافق ذلك من أمانة وصدق وتعاون في فعل الخير، والجهاد لتحرير الأرض المحتلة، بروح التضحية والفداء، و ﴿إنّ اللّه لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم﴾[2]، وهذا يتطلّب جهوداً مضنية ومشتركة من الجميع، مُفَضِّلين ما يُرضي اللّه على ما عده، مترفّعين، متفانين في سبيل الحق والكرامة والاستقامة والعزّة والتقدم والنصر.

خمسة عشر: توبة ودعاء

الإنسان غير معصومٍ عن الخطإ اللّهم سوى الأنبياء، والكمال للّه وحده. ومَن يا ترى يعبد الله حق عبادته ويشكره على نعمه الكثيرة حق الشكر كما فعل الأنبياء؟ إنَّ الأنبياء أنفسهم شعروا بأن عبادتهم دون فضل اللّه عليهم.

والإنسان قد يصيب ويخطىء، وهو يتعلم ـ كما يقال ـ من خطئه؛

---

(١) مأمون فريز جرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٨٨.
(٢) سورة الرعد، الآية ١١.

والرجل يُعَدُّ طفلاً كبيراً يؤمل أن تقلَّ أخطاؤه، بنسبة نضجه ووعيه. وعلى أيّة حال فإنّ «كلّ ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التّوابون».

١ ـ ويعلن الشاعر كامل الدجاني التوبة إن أذنب، ويسأل المولى العفو والمغفرة والعطف والنصر والعودة إلى الوطن في قصيدة له بعنوان: «ربِّ»، قائلاً: [مجزوء الرمل].

عَـفْـوك الـلّـهـم، قـد طـال ... شَـتَـاتـي وٱغـتـرابـي!
طـال فـي الـبـيـدِ هُـيـامـي ... ومـتـاهـي رعـذابـي!
طـال يـا ربِّـي ٱنـتـظـاري ... فـي رجـاءٍ وٱرتـقـابِ
إن أَكُـنْ أذنـبـتُ إنّـي ... تـائـبٌ، فـٱقـبَـلْ مَـتَـابـي!
هَـلْ تَـرَى عَـيْـنـاي دَارِي ... وَمِـهـادي وَرِحـابـي؟
هـل أَرَى بَـعْـدَ شـتـاتٍ ... جَـمْـعَ أَهـلـي وصِـحـابـي؟
عَـذْلُـكَ ٱلـلّـهـمّ! حـقّـي ... أَيْـنَ، يـا ربَّ الـحـسـابِ؟
كـلُّ أَهـلِ الأرضِ رَدُّوا ... حَـقَّـهـم بَـعْـدَ ٱغْـتِـصَـابِ
لِـمَ يـا ربِّـيَ أبـقـى ... أَنَـا وَحْـدي فـي ٱلـنَّـهَـابِ؟! (١)

ومن غير شك أنّ الإنسان المشرَّد أحوج الناس إلى عفو الله ورحمته وعطفه عليه بالنصر والعودة، ولكن هذا لن يتأتّى بدون العمل والتوبة إلى الله، والعودة إلى عبادته وطاعته. وقد أعلن الشاعر التوبة نيابة عن شعبه، وليس لعظم ذنوبه هو، فغضب الله وتوالي النكبات لم يكن بسبب هذا الشاعر أو ذاك، وعفوه ليس مرهوناً بتوبة هذا الشاعر دون غيره، ولهذا فإنّ الشاعر كان ينطق باسم شعبه لعلّ ربّ العالمين يعطف على الذين بقوا دون سكان الأرض مشرّدين معذبين طيلة عشرات السنين...

(١) في غمرة النكبة، ص ٢٧ و ٢٨.

٢ ـ وهذا هو ابن النكبة الأولى الشاعر المناضل محمود صبحة يدعو شعبه إلى التوجه للعبادات كلّها بعد هجر ويأس وشرود... إنّها صحوة ضمير الشعب في شخص شاعر ذاق قسوة الغربة، وعاش عذاباتها. وهو يقول في قصيدة له بعنوان: «عودة إلى الله»: [الخفيف]

هتف الفجر للصلاة فهيّا ... خلف آياته نحثُّ المطيّا
طال بالنفس عن إلٰهي اغترابي ... وعن الحقّ والحقيقة غيًّا
فإذا بالخطوب توقظ عقلي ... وتزيح الغشاءَ عن ناظريًّا
يا إلٰهي، أضعت أفراح قلبي ... فلتكن منك رقّةٌ أتفيًّا
لك كفّي بسطٌ، وقلبي انفتاحٌ ... فاسكب النور غامراً عالميّا
ليس لي مأملٌ سواك فكن لي ... في قيودي، إنّي عزمتُ المُضيًّا[1].

ومما تجدر ملاحظته اعتراف الشاعر بأن الخطوب قد أيقظته ودفعته إلى الصحوة والعودة إلى رشده. والناس يحسبون الخطوب نواقيس خطر تنبّه وتوقظ، والذكيّ مَن يعتبر... ويذكّرنا هذا بقوله تعالى: ﴿وإن عدتم عدنا﴾[2]، وبذلك فإنّ رحمة الله مرهونة بالتزام عبادته، وطاعته بما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر...

ستة عشر: متفرقات

أ ـ نعمة العافية

إن نعم الله على الإنسان كثيرة، و﴿إن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾[3].

---

(١) ديوان عاشق السفر، ص ١١٨ ـ ١٢١. منشورات المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا، ١٩٧٥م.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٣٤، سورة النحل، الآية ١٨.

ويشكر إبراهيم طوقان ربّ العالمين على «نعمة العافية» بقوله: [المتقارب]

إليك توجّهت يا خالقي ... بشكرٍ على نعمة العافيهْ
إذا هي تولّت فمن قادرٌ ... سواك على ردّها ثانيهْ
وما للطبيب يدٌ في الشفاء ... ولكنها يدك الشافيهْ
تباركتَ، أنت معيدُ الحياةِ ... متى شئت في الأعظم البالية
وأنت المفرّج كربَ الضعيفِ ... وأنت المجيرُ من العاديهْ[1].

أطلق الشاعر هذه الأبيات إثر عملية جراحية ناجحة أُجريت له في آذار سنة ١٩٣٣، والشكر واجب، وبالشكر تدوم النعم. ويقول تعالى: ﴿ولئن شكرتم لأزيدنّكم﴾[2].

ب ـ الشجرة المباركة «شجرة الزيتون»

شجرة الزيتون شجرة مباركة من الله، ورغم أهمية الإنسان، فقد أقسم الباري بالزيتون والتين وجبل الطور، الذي كلّم الله تعالى عليه موسى، أنّه خلق الإنسان في أحسن تقويم، لقوله تعالى: ﴿ والتين والزيتون وطور سينين[3] وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[4].

ويبيّن الشاعر محيي الدين الحاج عيسى في قصيدته «الشجرة المباركة» أهمية هذه الشجرة وفوائدها بقوله: [الرمل]

نصبوها في الثرى منذ القِدَمْ ... رمزَ حبٍّ وحنانٍ وسَلَمْ

(١) ديوان إبراهيم، ص ١٢٩.
(٢) سورة إبراهيم، الآية ٣٤.
(٣) سينين مبارك أو حسن بالأشجار المثمرة.
(٤) سورة التين، الآيات ١ ـ ٤.

بـــارك الله بـــهـــا فـــي ذكـــرهِ فهي في الشرق وفي الغرب عَلَمْ
نبتَتْ بالـدُّهـن والـصبغ فـمـا هـي لـلـنـاس سـوى لـحـم ودم
وكـسـاهـا الله ثـوبـاً سـابـغـاً دائـمَ الـحـسنِ فـأولاهـا الـنِّـعَـم
إن أرضـاً أنـبـتـت زيـتـونـةً هـي ذخـرٌ وأمـانٌ مـن عَـدَم
فـغـداءٌ مـسـتـسـاغٌ زيـتُـهـا ودواءٌ وشـفـاءٌ مـن سَـقَـم
وضـيـاءٌ يـهـتـدي الـسـاري بـه بـصـدَعُ الـلـيـلَ ويـزهـو بـالـظُّـلـم
فـأغرسـوهـا فـوق هـامـاتِ الـرُّبى إنّـهـا ريـحـانُ هـاتـيـك الـقِـمَـم
فـهـي لـلأبـنـاءِ كـنـزٌ خـالـدٌ وهـي لـلأحـفـاد حـظٌ مـغـتـنِـم[1]

وهكذا فإنّ فوائد شجرة الزيتون كثيرة أهمها ثمرها (الزيتون) ثم الزيت للطعام والعلاج والإضاءة ولصنع الصابون، فضلاً عن كونها رمزاً للمحبة والسلام.

ج - إكرام الأُمّ

الأم عنوان الحنان والإخلاص والوفاء. فضائلها كثيرة على ابنها منذ يولد حتى يموت. عطاؤها بلا حدود، وعطفها وحلمها وحنانها فوق كل عطف وحلم وحنان، تقف إلى جانب ابنها إبّان مرضه وغمّه وفرحه وسعادته. وعلى كلّ امرىءٍ أن يحترم والديه ويطيعهما ويخدمهما ويضحّي من أجلهما بجهده وماله ودمه، يقول تعالى: ﴿وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً...﴾[2].

ويضمّن الشاعر كمال عبد الكريم الوحيدي المعاني الكثيرة في البيتين التاليين: [الكامل]

---

(١) من فلسطين وإليها، ص ١٨٦ ـ ١٨٩.
(٢) سورة الإسراء، الآية ٢٣.

الأمّ أكرمَها الذي خلق الدّنا والآي يشهد والحديث العاطر
في كلّ يوم عيدها في ديننا ولها الوفاء بكل يومٍ وافر[1]

جعلت بلدان الغرب اليوم الحادي والعشرين من آذار من كل عام عيداً للأم، لأنّ الأواصر هناك شبه مبتورة، والصلات مهملة. أمّا المسلمون فالرابطة العائلية متينة عندهم بين الأم والأب والأبناء، وفي كلّ يوم عيد لقاء بين أفراد الأسرة، والتزام باحترام الأبوين. ويعمل المسلمون بوحي من قول رسولهم الكريم ﷺ: «الجنّة تحت أقدام الأمهات...»[2]، وقوله أيضاً: «ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين»[3]. أي أن دخول الجنة مرهون بطاعة الأم ورضائها، وهذا ما يدعم حسن الصلة بينها وأبنائها، فتعمر بالمودّة والتعاون والسعادة.

د ـ مجاهدة النفس

يدعو الشاعر أحمد صدّيق إلى مجاهدة النفس، وتربيتها على التقوى. لتستقيم على طريق الله..، وليكون المرءُ مستعداً لحمل أعباءِ المسؤولية التي ألقاها المولى على كاهله، فيقول: [الرمل]

جاهِدِ ٱلنَّفْسَ وأَيقِظْ ليلَها وٱعْبُدِ الله ولا تَنْقَطِع
وَمَعَ الأسحارِ قُمْ مُستَهْدِياً صادقَ النَّجوى سَخِيَّ الأَدْمُع
أَيُّها العابدُ يا مَنْ يَرْتَجي رَحْمَةَ ٱللّهِ الكريمِ الأَوسَع
عفْرِ الجَبْهَةَ في أَعْتابِهِ وٱهجُرِ النَّومَ وَلِينَ المَضْجع

---

(١) حسني جرار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج٧، ص ١٤٤.

(٢) شمس الدين الذهبي: كتاب الكبائر، ص ٤٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٠.

أنــتَ لــلّــه وَمِــن أَجْــنَــادِهِ فَاصْدُقِ السَّعْيَ وبالَحَقِّ اَصْدَع[1]

إنّ مجاهدة النفس تتطلب الإيمان والصبر، وتحمُّل المشاقّ، بغية الفوز برضا اللّه ورحمته، فمن يحرم نفسه لذّة النوم في الصباح ليقف بين يدي ربّه راكعاً ساجداً مستغفراً، يجد ما هو أحلى من النوم، في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿استعينوا بالصبر والصلاة إنّ الله مع الصابرين﴾ [2]، وقال أيضاً: ﴿والآخرة خيرٌ وأبقى﴾ [3].

هـ ـ اليتيم

في أغلب الأحيان يعاني اليتيم الكثيرَ من الحرمان، وفقد العطف والحنان، بعد أن فقد أحد أبويه أو كليهما، وهذا هو الشاعر علي هاشم رشيد يصوّر في قصيدته «يتيم في العيد» حال هذا اليتيم بقوله: [الخفيف]

حيّرته الرؤى فجنّ جنونه ثم فاضت من الدموع عيونه
هل ترى يُرجع الفقيدَ بكاه أم تُرى يسمعُ الزمان أنينه
ذاق طعمَ الشقاء وهو صغيرٌ من دهته من الشقاء فنونه
أين منه أبوه يهديه ثوباً قد رآه وجاذبته عيونه
ثورة في حشاه قد آلمته وصدى الجوع في الدماغ طنينه
ومضى يقطع الشوارع مضنى بالي الثوب راجياً من يعينه
أدمت الأرض راحتيّ قدميه وهداه إلى الظلام يقينه
فطوى جسمه على الأرض حتى من رآه يكاد لا يستبينه[4].

---

(١) مأمون فريز الجرّار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٩٠ ـ ٩١.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٣ .
(٣) سورة الأعلى، الآية ١٧.
(٤) ديوان أغاني العودة، ص ١٨٧ ـ ١٨٩.

كان هذا اليتيم حيران ممّا رأى يوم العيد، من مظاهر البهجة والسعادة لدى أترابه، سواء في اللباس أو الطعام أو الألعاب، فتألم من قسوة الظروف وشدّة الحرمان، ورثى لنفسه، فبكى وفاضت دموعه الحارّة، لكن هيهات أن يعيد له البكاء والده الفقيد، حتى يهديه ما يحتاج ويشتهي من ثياب وطعام، فاكتوى بنار اللوعة والحرمان، وهام على وجهه في الطرق جائعاً نحيلاً شاحباً...

ويتوجب على المسلمين، ولا سيّما الأغنياء، والمؤسسات الإنسانية، النظر بعين الرعاية والعطف إلى الثكالى والأيتام. ولو حاد الأغنياء بما يتوجب عليهم من زكاة لسدّوا حاجة الفقراء، قال تعالى: ﴿في أموالهم حقٌّ معلوم للسائل والمحروم﴾[1].

وحض الإسلام على مساعدة هؤلاء الفقراء والأيتام، وقال تعالى: ﴿وآتي المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين﴾[2].

و ـ الموت

قضى الله على كل إنسان بالموت، طال عمره أم قَصُر، وقد تتعدّد الأسباب، ولكن الموت واحد، و ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[3]، ولكل إنسان أجل محدود، لقوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[4].

وإذا مات الإنسان لا يحمل معه من هذه الدنيا سوى عمله، الذي

(١) سورة المعارج، الآية ٢٤.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٧٧.
(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.
(٤) سورة الأعراف، الآية ٣٤.

يحاسب عليه يوم البعث، فإما أن يكون من أهل الجنّة أو من أهل النار.

ويعترف الشاعر أحمد صدّيق بما يطوفه بقلبه من الغفلة.. فيطلب من صاحبيه أن يذكّراه بالموت ليفيق من الغفلة، ويقول: [الخفيف]

ذكّراني بالموت في كل حين ذكّراني بهادم اللذّات
آدميٌّ أنا ولست ملاكاً آه من غفلتي ومن زلاّتي
ذكّراني فإن خير صحابي مَن وقاني غوائل العثرات
كلُّنا مبحرٌ إلى حيث يُلقي بعد لأيٍ أزِمَّةَ المرساة
وحياتي هي الحياة التي أو لد فيها يوم الرحيل الآتي[1]

والتذكير بالموت يبعث على التأمل والعودة إلى طاعة الله..، والبعد عن المحرّمات والزلاّت، لأنّ فيه عبراً كثيرة لمن يعتبر، والذكرى تنفع المؤمنين، وخير الأصحاب من يذكّر صاحبه بتقوى الله..، وتجنّب العثرات، فمن لا يصحو اليوم لن ينفعه الندم بعد فراق هذه الدنيا الفانية. وطوبى للمؤمنين، الصالحين، الذين يفوزون بالنعيم، فيولدون يوم يموتون..

إنها صحوة للشاعر بعد صراع دار في نفسه بين الحقّ والباطل، بين الإيمان والشيطان، وكان الانتصار على الذات، بالتوجه إلى العبادات، وبدت في نفس الشاعر ملامح الطمأنينة والسعادة.

ز ـ حمام الحرم وحمام المسجد الأقصى

يزور الشاعر أحمد صدّيق المسجد الحرام حاجّاً، فيلفت نظره حمام الحرم، ويذكر حمام المسجد الأقصى فيقول: [الكامل]

يا أخت طاوية الجناح مهيضة في القدس تمضغ في الأسى أنغاما

(١) مأمون فريز الجرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٩١.

أصمَتْ رمايات العدو فؤادها ظلماً فباتت تلعق الآلاما
ورنت فلا إلفٌ يداوي جرحها في القيد أو يرعى هناك ذِماما
وَشَدَتْ فلا أذنٌ تصيخ وأجهشت أسفاً لتطفىءَ لوعةً وضراما[1]

إنّه تصوير بديع يبدو فيه الشاعر مخاطباً حمامة الأقصى المهيضة الجناح، المحاطة بالأسى، بعد أن أدمتها رمايات اليهود، فلعقت آلامها عندما لم تجد من يداوي جرحها وهي في القيد، فغنّت آلامها، ولمّا لم يُلْقِ أحد إليها سمعاً، أجهشت بالبكاء لتطفىء نار لوعتها.

إنّه تصوير دقيق ليس لحال الحمام في الأقصى وحسب، بل للإنسان العربي، في جراحه وآلامه، هناك في الأرض المحتلة، وتوجهه إلى إخوته العرب آملاً النجدة والخلاص...

ح ـ استغاثة

ويطلق الشاعر عدنان النحوي نداء استغاثة من المسجد الأقصى إلى مكة وإلى المسلمين، قائلاً: [الكامل]

وتلفّت الأقصى لمكة لوعة أختاه! تنهش أضلعي الغربان
أختاه! أين المسلمون وحشدهم أين الملايين الغثاء! أهانوا؟
أختاه! وانقطعت حبال ندائه واغرورقت من دمعه الأجفان
وهوت معاول كي تدُقَّ حياضه وهوت على أمجاده الجدران[2]

ط ـ تحريض الحجاج على النفير للجهاد

يخاطب الشاعر أحمد صدّيق جمع الحجاج.. مذكّراً إيّاهم بالمسجد

(١) مأمون فريز الجرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفسطيني الحديث، ص ٦٩.
(٢) حسني جرار وأحمد الجدع: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، ج٧، ص ١٠٤ ـ ١٠٦.

الأقصى، ومحرّضاً إياهم على النهوض إليه، وتخليصه من أيدي اليهود، فيقول: [البسيط]

لا تتركوا القبلة الأولى ومسجدها يشكو، وكم طال في البلوى تفجّعه
جاء الحجيج متى تمضي مسيرتنا وحقّنا بالكفاح المرّ ننزعه
من هاهنا من ظلال البيت ظاهرة أذيالنا، مبدأ الحرير نزمعه[1]

أبيات قليلة تتضمن معاني كثيرة قيّمة، إذ وجّه الشاعر من خلالها نداء إلى الحجيج وسائر المسلمين والعرب لنجدة المسجد الأقصى وعرب الداخل، بعد صبرٍ طويل على الجراح والآلام، ومنذ حلول نكبتي ١٩٤٨م و١٩٦٧م وحتى الآن، كانت الفرصة كافية لمن يريد إعداد العدّة وتحرير الأرض...

على أية حال نتمنى أن يعود العرب عامة، والمسلمون خاصة إلى أصالتهم، وسيرة أجدادهم، والإمكانات المتوفرة لديهم أكبر من تلك التي توفرت للفاتحين العرب، وللقائد البطل صلاح الدين، وبيت القصيد أننا بحاجة إلى العودة إلى الله وإلى معتصم جديد، وهل من يلبي النداء ويكون مفخرة هذه الأمة، وباعث عزّتها وتقدمها ومجدها؟ إن هذا ليس على الله بعزيز...

(١) مأمون فريز الجرار: الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، ص ٦٩.